

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم



كلية العلوم الاجتماعية  
شعبة الفلسفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستير في الفلسفة

: بعنوان

الأخلاق والمنطق عند أبي حامد الغزالي

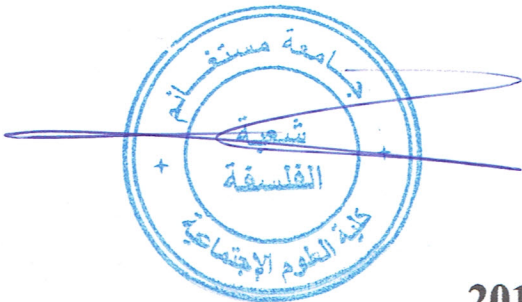
تحت إشراف :

أ.د. السايح حمادي

إعداد الطالبين :

بلفضيل مراد

بغداد قرشي كمال



السنة الجامعية : 2016-2017

## كلمة شكر

من حسن آداب المرءو من الوصايا الحسنة الاعتراف بأهل الفضل.

وعليه أتقدم بخالص الشكر إلى أساتذة قسم الفلسفة بجامعة عبد الحميد بن نادر بن ناديس بمستغانم على وجه الخصوص. وكل أستاذ علمني في مسار حياتي الدراسية على وجه العموم، على ما قدموه لي من مساعدات ونصائح وتوجيهات، وأسأل الله عز وجل أن يجازيهم على ذلك، وأن يجمعهم وإياي في جنة النعيم مع الصالحين والأبرار.

## إهداء 2

بسم الله الرَّحمان الرَّحيم

أهدي ثمرة جهدي إلى من قال فيهما المولى غزّ وجل :

{ولا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما}

أمي وأبي الذان تعبنا من أجلي حفصهما الله وأطال في عمرهما .

إلي إخوتي الأعزّاء كلّ بإسمه.

إلى زملائي في الجامعة وخارجها.

## إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى من قال الله فيهما.

{واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا }

إلى الذي إستقامت حياتي بفضل أول حرف تعلمته إلى غاية مستواي الدراسي الحالي.

فجعلني بتوفيق من الله أسموا في المجتمع بإتزان و أخلاق . أبي العزيز حفظه الله .

- إلى رمز العطف والحنان . التي أنقضت حياتي و منذ الصغر بأمان ولو على حساب حياتها

أمي العزيزة أطال الله في عمرها بالخير والبركة.

- إلى إخوتي الأعراف جمع الله بيننا في الخير وطاعة الله عز وجل .

- إلى زوجتي العزيزة حفظها الله من كل شر.

- إلى فلذة كبدي الكتكوتة "حفصة" جعلها الله خير صدقة جارية في حياتي وبعد مماتي.

— إلى كل من وسعت لهم ذاكرتي ولم يذكرهم قلبي.

- بلفظيل مراد -



يقوم الخطاب الأخلاقي الإسلامي على مناقشة الأخلاق وفق مبادئ المنطق ؛ حيث ساهمت وبشكل عملي في إنماء الإرتباط والثوابت التاريخية والثقافية والحضارية للجماعة الإسلامية كسلوك وممارسة . وكان كذا هذا على عاتق مفكرين وعلماء إسلام على مر العصور ، لاسيما العصر العباسي الذي شهد اختلافات إعتقادية وعقائدية حتى كاد المجتمع آنذاك على شفة الإنهيار ، لو لا فطنة مجموعة من المفكرين مستعملين في ذلك الحنكة الفكرية والعقل السليم ، نذكر منهم أبي الغزالي الذي خاض تقريبا في شتى العلوم ، في فلسفته يتطرق إلى عدّة مواضيع منها المنطق والأخلاق في مؤلّفاته "معيّار العلم" ، "محك النظر" ، "القسطاس المستقيم" ، "تهافت الفلاسفة... الخ" ، وكان الفضل في تعليم وإرشاد أستاذه "الجويني" ، فنجد الفكر الإسلامي متمثلا في الفلسفة الإسلاميّة التي تجسّدت في الفرق الكلاميّة كالمعتزلة والأشاعرة في العصر العباسي "العصر الذهبي" حيث ساهم إمام الفلاسفة ذو توجه أشعري في مناقشة موضوع الأخلاق والمنطق، فهو كرس جزءا من حياته في إدراك المعنى الأخلاقي فهذا المعنى لا يدرك إلا بالعلم والعمل باستنباط الأحكام الشرعيّة في جوهرتها أي من الكتاب ( القرآن الكريم ) وهذا ما نراه في كتابه "إحياء علوم الدّين والمنقّض من الضلال" فالعلم والعمل فضيلتين وطريقتين نحو السعادة الأخرويّة وبدونها لا يشعر الإنسان بأنّه على صواب، وفي هذا الصّدّد قال أنّ علاقة النّفس بالأخلاق علاقة قويّة فالنفس تؤثر في السلوك الأخلاقي، أيضا المحبّة عنده ذات طابع صوفي وهي سبلا للمعرفة الحقيقيّة بالله وصفاته وهي سبيل المتصوّفة لا المتكلّمين يصل إليها الأوّلون بالوجدان والعرفان لا بالبرهان، فالعقيدة عنده هي عقيدة التّوحيد إسلاميّة خالصة لأنّها تقوم الجوهر والضمير ( القلب، النّفس والمروءة ) .

معظم هذه القضايا الفقهيّة عند الأشاعرة هي جزء لا يتجزأ من المنطق وأصول الشريعة الإسلاميّة.

الأخلاق الغزاليّة": .



— كيف نظر "الغزالي" للمنطق الأرسطي (منطق التصورات والحدود، الشكلي، الصّوري، التقليدي)، فلقد تأثّر "الغزالي" بالمنطق الأرسطي ودافع عنه بشدّة وهذا استناداً إلى مقولته الشّهيرة : " من لا يعرف المنطق لا يوثق بعلمه " ومن هنا استخدم كبار الأشاعرة المنطق الأرسطي بقواعده في دراسة المسائل الفقهيّة.

و بناءً على هذا كان دفاعنا على شكل سؤال : هل فعلاً "الغزالي" كان من عقل حركيّة الفكر الإسلامي؟ أم هو من أنقض الفكر الإسلامي من المغالطات؟، يرى الغزالي في الفكر الإسلاميّ هناك (كثرة المناهج و قلة النتائج في العمل) إشارة على أنّه ليس هناك منهج واحد، أمّا بخصوص الصّعوبات التي واجهتنا فكلّ عمل نجد القراءات الفكرية معقدة نوعاً ما إضافة إلى ذلك أنّه لم تتوفر لدينا المصادر الخاصّة بهذا العلامة، ففكر "الغزالي" استهلك أكثر من ذي موقع من النقاش التاريخي والفكري والدّيني، وفي الأخير نرجو أنّنا قد إمثلنا للتوفيق في هذا العمل المتواضع.

## الفصل الأول: في فلسفة أبي حامد الغزالي.

### مقدمة.

المبحث الأول: ضبط المفاهيم: المنطق، الأخلاق.

المبحث الثاني: نبذة تاريخية عن أبي حامد الغزالي.

المبحث الثالث: فلسفة الغزالي (العقل والدين، فكرة السببية، فكرة الشك).

## (1)- ضبط المفاهيم:

أ- المنطق: لا يخرج كل تفكير فلسفي عن دائرة الحدود والتصورات التي تمثل تاريخ البشرية على وجه الأرض من شعوب العالم بشكل عام والشعوب الإسلامية على وجه الخصوص، وهذا التفكير الفلسفي الذي بفضلته تحدث اتصالات وخطابات تدفع بالمجتمع إلى التقدم. لا سيما التفكير الإسلامي الذي يحمل في تصوراته معاني الشر والخير، ويوجه الفكر إلى التدبر في العالم بشتى الأسئلة التي تصل به في الأخير إلى الحقيقة التي هي في الأخير الاتصال بالله عز وجل. وهذا التصور هو تصور منطقي، والمنطق في الفكر الإسلامي منبعه يتفرع من عدة حضارات سابقة: على رأسها اليونانية، وقد تكون فارسية، زرادشتية... الخ.

- لقد كان الفضل للفلاسفة اليونان (أفلاطون وأرسطو) في البراعة في علم المنطق حيث يعتبرون أن المنطق هو أورغانون الحياة ويعرفونه أنه: ( هو آلة بها يقع الفصل والتمييز بين ما يقال: هو حق أو باطل فيما يُعتقد وما يقال: هو خير أو شر، فيما يفعل، وبينما يقال: هو صدق أو كذب، فيما يطلق باللسان وبينما يقال: هو حسن أو قبيح بالفعل)<sup>1</sup>.

- يأتي العهد العباسي حجة الإسلام والفيلسوف أبي حامد الغزالي ليرى أن المنطق هو آلة مخفية في نفس البشر مرتبطة بذاتية الإنسان تسعى إلى العمل على تثبيت الحق في حقيقته التي قذفها الله تعالى في أنفس البشر، حيث أن النور الإلهي مواضعه عقلية، فالمنطق عند الغزالي ( هو صناعة أدوية تميز بين الصدق والكذب في الأقوال، والحق والباطل في الاعتقادات والخير والشر)<sup>2</sup>.

- أبو حامد الغزالي يعتمد على الدين ويعتبره العمود الفقري للحياة المستقيمة، ذلك لان الدين الإسلامي يحمل في طياته التربية. ويشتمل على العلوم، على رأسها الفقه وأصول الفقه... الخ. وهنا يدخل في المسائل المنطقية التي بها نفهم النص القرآني وتأويله داخل حيز الشرع الذي نقصد به: >> إنما هو تعليم العلم الحق والعمل الحق، والعلم الحق هو

<sup>1</sup>- جبرار جيهامي- موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب (سلسلة موسوعات المصطلحات العربية الإسلامية)- مكتبة لبنان، ناشرون، لبنان، ط1، 1998، ص857.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص857.

معرفة الله تبارك وتعالى وسائل الموجودات على ماهي عليه، وبخاصة الشريعة منها، ومعرفة السعادة الأخروية والشقاء الأخروي، والعمل الحق هو امتثال الأفعال التي تفيد السعادة، وتجنب الأفعال التي تفيد الشقاء هي التي تسمى " العلم العملي " أجدهما أفعال ظاهرة بدنية، والعلم بهذه هو الذي يسمى " الفقه " والقسم الثاني أفعاله نفسانية مثل الشكر والصبر وغير ذلك من الأخلاق التي دعا إليها الشرع أو نهى عنها<sup>1</sup>.

- إن المعتزلة ترى الدراسات الإسلامية أنها خطاب بل جوهر الخطاب، وهذا الرأي يتبناه أبو حامد الغزالي ويدافع عنه ويحيد برأيه ضد مناقضيه ويعتبره منطقيًا >> فالمنطق فيما يعطي من قوانين الألفاظ إنما يعطي قوانين تشترك فيها ألفاظ الأمم، ويأخذ من حيث مشتركة، ولا ينظر في شيء مما يخص ألفاظ أمة ما، بل يوصي أن يأخذ ما يحتاج إليه من ذلك عن أهل العلم بذلك<sup>2</sup>.

- إن المنطق في نظر الغزالي هو فكرة يونانية محضة، ألبسه المفكرين العرب الذي الإسلامي، واستعملوا في النص الديني لفهم العالمين الداخلي والخارجي، ذلك لان القرآن الكريم يبين وجود الله وعظمته في خلقه، فالمنطق عند الغزالي هو جزء لا يتجزأ من آيات الله في جسم الإنسان الذي خلقه، فانه عز وجل قذف المنطق في جسم الإنسان لأنه ضروري مثله في جسد البشر مثل الحواس الخمس، وعليه هو قصد ضروري >> مفاد هذه العبارة فيما معناها إن مثلا كان التخيل وحده هو المبدأ للشوق سمي ذلك الفعل جزافا، ولم يسمى عبثا، وإن كان تخيل مع طبيعة مثل التنفس، سمي ذلك الفعل قصد ضروريا أو طبيعياً<sup>3</sup>. من هذا نصل إلى أن الشريعة الإسلامية جاءت لتجمع كل ما أتت به باقي الأديان من خير وتمنع ما هو غير موافق للأخلاق.

- لما نعود على الحضارة اليونانية مع روادها وعلمائها في علم المنطق مع أرسطو الذي يرى أن المنطق هو آلة استقراء تدعو إلى أسلوب التفاضل، يقابل هذا في الحضارة الإسلامية وديننا الحنيف السنة النبوية الشريفة، حيث إذا كان المنطق الأرسطي يدعو إلى

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص834.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص856.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص826.

المفاضلة، فإن السنة تدعوا التفاضل بين العباد فيما بينهم وبين ربهم أي إذا >> تمثلنا أن الفضيلة سلوك ذا معنى أي من وراء الفعل قصد، فالذي يتمثل القصد هو الضرورة في الحركة حيث إن كل قاصد أولى بالقاصد من لا وجود عنه وإلا فهو هدر<<<sup>1</sup>. فمنذ الوهلة الأولى ونقطة الانطلاق للدين الحنيف الذي جاء به سيّد الخلق صلّى الله عليه وسلّم حمل معه معنى الأخلاق بمفهومها الحقيقي. فبالترديد من أرسطو في أسئلته الأولى مع بالنسبة للخلق إلى محمّد صلّى الله عليه وسلّم الذي يكرر السؤال ولكن بتفكير أعلى من التفكير الإنساني باعتباره صلّى الله عليه وسلّم لا ينطق عن الهوى حيث يتدبر في آيات الله من خلال الكون، يأتي أبو حامد الغزالي ليثبت دور العقل في إدراك العالم الخارجي.

- يرى أبو حامد الغزالي أن القرآن الكريم يحمل لغة ذكية جدًا تتمثل بعضها في الفقه وأصول الفقه، تشير إلى ذات الإنسان في كل الأحوال، هذا أن الدين الإسلامي جمع بين الطوائف مهما كان اختلافها، ومكان تواجدها، فمعيارهم في السير كلهم هو فقه العادات والعبادات والمعاملات، فهناك تبادل بينهم لأن مصدر هذه العلوم كلها هو الشرح الذي هو وحي إلهي، ويرى الغزالي في مقابل هذا، فقه الوقائع الذي يتفوق من المنطق بدرجة، حيث يعتبر منطق الشريعة الإسلامية. ويتمثل في صفة الحق الذي هو خاصية إلهية. والحق هو المعيار الأساسي في حياة الإنسان، لأن فيه تربية حسنة، وإخلاص في العمل، وعدل في الحكم، مصداقا لقوله تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَتَأْمِنُونَ بِاللَّهِ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ }<sup>2</sup>.

- لقد وضع الغزالي للمنطق أهمية كبرى في أسلوب التفكير بشكل عام باعتباره ميزانا عقليا يمكن اللجوء إليه عند القياس في إدراك صواب وخطأ بعض الأمور، فالمنطق عند الغزالي ما كثر فيه الصواب. وندر فيه الخطأ. وهو >> يختلف مع الفلاسفة الإسلام في هذا الموضوع من جهة ما أورده من اصطلاح يخرجان عن المعنى والقصد، لذلك فهو يؤكد

<sup>1</sup> - موسوعة المصطلحات الفلسفية عند العرب، ص 626.

<sup>2</sup> - القرآن الكريم- سورة آل عمران، الآية 110.

على أن من أهداف المنطق في تهذيب طرق الاستدلال، ويحتاج إليه الباحث في مباحثه العقلية، لأن الأفكار تفسد إن لم ترتكز إلى المنطق»<sup>1</sup>.

- فهو يذكر نفس الفكرة في كتابيه " تهافت الفلاسفة - والمقاصد ". فهو يؤكد ويكرر المنطق في هذين الكتابين، بنفس الفكرة والاتجاه، وكان هذا قصدًا منه لا عفواً >> ذلك ما يجعلنا نعتقد أن الغزالي كان أضمر نقدًا للمنطق تراجعًا كما يبدو أمام بديهياته، وعدم استطاعته النفاذ إلى خلل فيه كما تصور»<sup>2</sup>.

من هذا يظهر أن الغزالي جمع بين العديد من العلوم، لأنه كان سابقًا لعصره، حيث كان متعطشًا للبحث والتعرف على كل شيء، وقد ازدوج في شخصيته ذلك باعتبار فيلسوف بثتى أنواع المعرفة، وصوفيا ليصل إلى التذوق الباطني الذي مصدر ينبوعه القلب الذي يكون فيه هنا اتصال مباشر مع المولى عزّ وجلّ.

**ب- الأخلاق:** لما كان المفهوم الأساسي لمعنى كلمة الأخلاق يرتبط دائما بالحياة اليومية للبشر. وهذا في أي عصر، لا سيما العصر بين اليوناني والإسلامي، ففي الفلسفة اليونانية في فكر أفلاطون درسوا الأخلاق وفي الفلسفة الإسلامية عند أبي حامد الغزالي يترجمها إلى الفضيلة، والإنسان كلا من العصريين دائما في حيرة لمعنى كلمة أخلاق، يأتي الغزالي ليبين مبادئ الأخلاق، ويفرق بين مصطلحي الخُلق والخَلق، فالخُلُق بضم الخاء يعني صورة الفرد الباطنة أي ما يفكر وما يراه باطنيا حيث هو تصرف خفي، وكلمة خَلق أي الصورة الظاهرة أمام الواقع. فالخَلق والخُلُق >> عبارتان مستعملتان معًا، وتلك يُقال فلان حسن الخُلُق والخَلق أي حسن الباطن والظاهر، فالمراد بالخَلق الصورة الظاهرة وبالخُلُق الصورة الباطنة وذلك بأن الإنسان مركب جسد مدرك بالبصر، ومن روح ونفس مدركتين بالبصيرة، ولكل واحد منهما هيئة وصورة إما قبيحة، وإما جميلة. فالنفس المدركة بالبصيرة أعظم قدرًا من الجسد المدرك بالبصر»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الأمير الأعمش- الفيلسوف الغزالي- إعادة تقييم التطور من حناه الروحي- منشورات عويدات - بيروت- باريس- ط1- 1974- ص44.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص46.

<sup>3</sup> - أبو حامد الغزالي- إحياء علوم الدين- الجزء 3- عالم الكتب- دمشق- د ط- د ت- ص46.

- ما دام العلامة أبو حامد الغزالي صوفياً. فإنه بالضرورة يفسر الأخلاق من جانب ديني حيث، فهي عنده تفسير لما هيأت القرآن الكريم. والله عزّ وجلّ خلق البشر وبعث خُلُق في نفسيتهم، ذلك لأن النفس هي المحرك الأساسي لأخلاق الإنسان داخل جسداهم. حيث يقول:

>> الخلق عبارة عن هيئة النفس راسخة. عنها تصدر الأفعال بسهولة، ويسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية. فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً. وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً <<<sup>1</sup>.

- من هنا نستخلص أن أبو حامد الغزالي يفهم أن الأخلاق هو دراسة باطنية لذاتية الإنسان، وهو يبرهن بهذه الفكرة على وحداته وقدرة الله عزّ وجلّ.

- تحيلنا هذه الخلاصة إلى أن الأخلاق عند الغزالي هي شيء مبعوث في نفسية البشر، حيث أن الإنسان يمتلك القدرة على القيام بالخير أو الشر، دون قيادة خارجية أي إكراه من أن الإنسان يمتلك القدرة على القيام بالخير أو الشر، دون قيادة خارجية أي إكراه من إنسان آخر، بل يكون الفعل الذي يقوم به عن قصد منه. فالأخلاق عنده تصدر هكذا، أي بعفوية تامة من ذات الإنسان.

- لو نرجع إلى الفكر اليوناني فنجد الغزالي يقترب إلى أرسطو في فكرة الأخلاق فهي مسألة حياة فيها الخير والشر، والحب والكرهية وتدخل في قضايا الاستدلال والاستنباط.

>> يخب بالمقابل العلم الروحاني الفرق في شطط مذاهب الحلولية ووحدة الوجود والمناقصة الأخلاقية، وتجد محاولة التوفيق هذه، التي كان لها أثر حاسم في حياة الإسلام اللاحقة، خير انعكاس لها في "إحياء علوم الدين" ذلك السفر الكبير في علوم الكلام والفقه والتصوف والأخلاق، بيد أن أقرب ما عند الغزالي إلى الغرب هو كلمة أخلاقي الذي ينم عن رفاهة إنسانية كبرى وعن توازن يتضوع بعطر المحبة <<<sup>2</sup>.

- لا يغيب عنا أنّ معظم فكر الغزالي من فلسفة وأخلاق ومنطق هو فكر لا يخرج عن الدين الإسلامي بل كل تفكيره. لكن في فكرة الأخلاق هي موجودة في السابق في فلسفة أرسطو

<sup>1</sup>- المرجع نفسه، ص46.

<sup>2</sup>- أبو حامد الغزالي- إحياء علوم الدين- ج3- ص430.

حيث يعتبرها هذا الأخير لغة التواصل وحسن التعبير وإدراك المقاصد في أصلح المسائل، فكرة الصلاح - في كتاب لأرسطو- "السياسة والشعر" والفكرة توغلت إلى العالم العربي، يأتي القرآن الحنيف ليمسك العصا من الوسط في الأخلاق ويظهر هذا في سورة العاديات في قوله تعالى: {وَ الْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (1) فَ الْمُورِيَاتِ قَدْحًا (2) فَ الْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (3) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (4) فَ وَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (5) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6) وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8)}<sup>1</sup>.

- إن مصطلح الأخلاق وجد قبل الغزالي. وذلك ورد مع بعثة الرسالة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: ففي الحديث الشريف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: >> إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق <<<sup>2</sup> وكان كذلك في اليونان هذا المصطلح مع أرسطو حتى كان له كتاب في الأخلاق، وعند ابن مسكويه كتابا في صناعة تهذيب الأخلاق.

وعلم الأخلاق يفهمه الغزالي على نطاق الشرع، فهو لا يجد المفهوم كما ورد في الفلسفة اليونانية. >> وإنما يفهم من علم الأخلاق شرح طرائق السلوك، وفقا لما سنته الشريعة السمحاء. ورسمه الصوفية، ومن هنا نحوهم الفقهاء، ولعلم الأخلاق فيما يريد أسماء متعددة، فهو تارة علم طريقة الآخرة وأخرى يسميه على صفات القلب، وحينما يسميه أسرار معاملات الدين، وربما سما أخلاق الأبرار <<<sup>3</sup>.

- ونجد هذا قد ورد في أحد مؤلفاته المشهورة "إحياء علوم الدين" فالأخلاق عنده هو ترويض النفس على حسب ما تراه الشريعة الإسلامية، فما يوفقها من قول وعمل فهو خير، وما دون ذلك فهو شر.

وفي كتابه "الميزان" يعرف الخلق بأنه إصلاح القوى الثلاث: قوة التفكير، قوة الشهوة، وقوة الغضب، في تعريف آخر لمصطلح الخلق الحسن بفعل ما يكره البرئ وبتشهد

<sup>1</sup> - سورة العاديات- الآيات 1-8.

<sup>2</sup> - الحديث الشريف.

<sup>3</sup> - زكي مبارك- (الأخلاق عند الغزالي) كلمات عربية للترجمة والنشر: جمهورية مصر العربية- ص149.

بالحديث الشريف << حُفَّتِ الجنة بالمكاره، وحُفَّتِ النار بالشهوات >><sup>1</sup>. وبالآية الكريمة: { وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ }<sup>2</sup>.

فالخلق عند الغزالي لا يقصد به القدرة على التمييز الجميل والقبیح ولا فعل الجميل والقبیح. ولكن هو حالة النفس أثناء استعدادها، للفعل أو انقطاع الشيء، فهذه صورة باطنية مادام أنها مرتبطة بالنفس.

- يرى الغزالي مرة أن من الناس يولد متخلقا، أمثال الرّسل والأنبياء فهم لا يحتاجون إلى تربية فهم بالفطرة متخلقون، وذلك في القرآن الكريم شواهدٌ عديدة على أن النبيّ غفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه، ومرة أخرى يرى في ذلك التخلّق، أي حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب، فيجب ترويض النفس على ما يرغب المرء فيه من مكارم الأخلاق.

ويرى الغزالي لكسب الخلق وجب أن تحدث علاقة عجيبة بين القلب والجوارح ويقول في ذلك: << كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لا محالة. وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب >><sup>3</sup>، ويعني بهذا الشرط الأساسي لكسب الأخلاق هو تلك العلاقة القائمة بين القلب والجوارح. فمثلا إذا أراد المرء أن يصير مفسرا فعليه أن يتعاطى بما يصف به المفسرون من سماع القرآن الكريم وتفسيره، وعدم النظر إلى المحرمات، الذهاب إلى مجالس العلم وبحكم تكرار هذه الأفعال يتعلق القلب بما عملته جوارحه بعد تكليفها وبهذا تنعطف منه صفة المفسرين على قلبه، فيصير كذلك في نفسيّته.

## (2)- نبذة تاريخية عن حياة أبو حامد الغزالي:

<sup>1</sup>- الحديث الشريف.

<sup>2</sup>- سورة البقرة- الآية 216.

<sup>3</sup>- زكي مبارك- الأخلاق عند الغزالي- ص152.

- تنجب المجتمعات أفرادا يحملون تقاليدها وعاداتها، ويعبرون عن ثقافتها إذ يتأثرون بنفس المؤثرات الاجتماعية؛ لكن من هؤلاء من هو متمرّد على قوانين مجتمعه فيعمل على تغيير مسار الحياة في عصره محقق بذلك تغييرا واضحا لمستقبل الأجيال القادمة، فالعصور أنجبت علماء ومفكرين والمجتمع العباسي أحد هذه المجتمعات إذ انتشر فيه ما يسمى بالترف. كما أن الخلفاء العباسيون لم يكونوا خلفاء سوى بالاسم لا تصل قدرتهم إلى السلطة الفعلية شيء، مما أثار علماء وفلاسفة ذلك العصر وهم الذين يمثلون الطبقة المفكرة. شموع يظهر نورها معلنا حربا عن الظلام. ومن بينهم العلامة "أبو حامد الغزالي"، وهو من قال فيه عنه بعض العلماء الجامعيين بين العلم الظاهر والباطن

<< لو كان نبيّ بعد النبيّ لكان الغزالي >><sup>1</sup>.

<< ولقد كان الغزالي أحد المفكرين الذين خلّدتهم الإنسانية بشهادة مناصريه ومعارضيه القدامى والمحدثين. فقد أراد لمجتمعه أن يكون أفضل مما كان عليه وكان له ما أراد. وعمل من أجل تجديد مستقبل أجيال أمته المقبلة.

- جاء الغزالي في عصر كان طابعه الأساسي الترف في الفكر والجموح في الخيال. والإسراف في البذخ والترّف فانقلب التفكير إلى تدمير والخيال إلى فرقة والترّف إلى تفسخ وانحلال >><sup>2</sup>.

- ومن تعددت الفرق والاتجاهات بين ديني وسياسي وفكري. فكل من هب ودبّ ادعى القلم والكتابة. ونشب صراع فكري لم يعهده المسلمون ولا الإنسانية، وكان للفلسفة العامة بمثابة الماورائية يد في ذلك. وطغى علم الكلام والجدل على عقول العامة، وغطيت أفكار رجال الدين بأقنعة أخرجتهم من صرحهم الذي عرف تغييرا ملحوظا وسط ضجة هذه الاختلافات الفكرية.

- وليس من الغريب أن تشهد كتبه ومؤلفاته التهابا فكريا واضحا عاش وتسبّب في أجواء ملتهبة هي الأخرى كما أنّه لا عجب أن تدوم أعماله إلى الآن خادمة ظروف كل عصر ولا عجب أن تكون لشخصيته الغدّة تلك القوة الفكرية.

<sup>1</sup> - الإمام أبو حامد الغزالي- تهافت الفلاسفة (قدم له وضبط نصه أحمد شمس الدين)- دار الكتب العلمية- بيروت- 2010- ط4- ص3.

<sup>2</sup> - البخاري حمّانة- الإدراك الحسي عند الغزالي (دراسة نفسية مقارنة) ط- 2013- ص7-8 .

- كان الغزالي من أسرة فقيرة لكن فقرهم لم يمنعهم من تعليمه هو وشقيقه أحمد. وقد توفي والدهما وهما ما يزالان طفلين فكفلهما شيخ مدة انتهت لما انتهى المبلغ المالي الذي قيمه والدهما له قبل وفاته لتعليمهما.

- وظروف هذا الطفل لم تمنعه من مزاولة ومواصلة دراسته، بل شدّ رحاله إلى بلده "طوس" وبقي فيها ثلاث سنوات خصّها ليفهم ويحفظ ما جمعه من علم، وفقه على يد الشيخ "الردكاني". ثم غادر طوس إلى نيسابور وهنا تتلمذ على يد الإمام الجويني الذي كان حجة عصره في الكلام والجدل. مما مكّن الغزالي من علوم عصره. إذ تفوق تفوقاً واضحاً غير ملامح شخصيته الصغيرة. فقد تعرف على علماء وفقهاء اعتبرهم مثله الأعلى. ولكن سرعان ما كشفت معاملاتهم وسلوكياتهم ادعاءاتهم. فشك في علمهم وأخلاقهم لأنه بتاتا لم يطابق أعمالهم وذهب احترامه لهم وإيمانه بعلمهم في مهب الريح. فقد الثقة في كل شيء. لكنه اكتشف أنه أمام واقع مرير يصف تباين الفرق والطرق وقد عبر من ذلك بوصفه هذه المرحلة الجديدة من حياته قائلاً: >> ولم أزل عنفواني شبابي منذ راهقت البلوغ، وقد أتقت السن الآن على الخمسين اقتحم لجة هذا البحر العميق؛ وأخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الجذور وأتوغل في كل مظلمة، وأتهجم على كل مشكلة وأقتحم كل ورطة وأتفحص عقيدة كل فرقة. وأكشف أسرار مذهب كل طائفة <<<sup>1</sup>.

- انطلق الغزالي تاركاً ورائه روح التقليد باحثاً عن ما يروي به فملاً فكره الذي يطالب وبشدة، حقيقة ينير بها واقع تلك الأمة، فجادل الملل وطاول كل الشيع والبدع وكل مجادلاته تلك التي دخلت في الفكر الإسلامي والإنساني قاطبة لا يزال أثرها إلى الآن. إلا أنّ ما آل إليه الغزالي لم يزرده انشغالاً وحيرة، لأنه يراه بعيداً عن الحقيقة التي يصبو إليها. فقرر الذهاب إلى بعد وجهة كل من ابتغى العلم. ذهب وهو يحلم بفوزه وتقديره وتعيينه معلماً من أكابر معلمي عصره. وبينما هو مدفون وسط هذه المغريات، أفاق، واكتشف فجأة أنه نسيّ مبتغاه وهدفه مثلما فعل سابقوه من العلماء الذين تخلى هو بنفسه عنهم لهذا السبب. فوحد نفسه في صراع ذاتي. وقد نتج عن ذلك تخليه عن التدريس والإفتاء. وقد أصيب بشلل حركي. وامتنح عن الكلام والطعام فترة زادت عن ستة أشهر

<sup>1</sup> - الغزالي: المنقذ من الظلال - مكتبة الجبدي، 1838هـ، القاهرة، ص5.

وقد استغلها في تأمل ذاته ومعرفته الآخرين. وصوّر لنا العلامة الإمام الغزالي عزمه هذا قائلاً: >> فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريباً من سنة أخيراً جاء دور العمل: وجاوز الأمر حد الاختبار إلى الاضطرار وقد أقفل الله على لساني حتى أعتقل عن التدريس >><sup>1</sup>.

وبعد هذا التأزم الذي لازمه وصل إلى حل أرضاه وهو تركه لهذه الحياة المغربية والخروج من بغداد لمواصلة الكفاح الذي يبتغيه. وهو اللاوقوف بالمجتمعات الإسلامية وتوثيق العلوم للأجيال القادمة.

- وذهب الغزالي بعيداً عن بغداد وملذاتها متجهاً إلى طوس مثلما لأفلطون قبله صقلية لمثل هذه الأسباب. في رحلة دامت عشرة أعوام، وجهته إلى كل من دمشق ومكة وبيت المقدس والمدينة والإسكندرية واستطاع أن يكتب أشهر وأهم مؤلفاته (أحياء علوم الدين) الذي يصور مدعا عمق أفكاره وتأملاته عن الإنسان والدين والدنيا والحياة والعلم والإيمان. وقد جعلت منه هذه الرحلة واثقاً من نفسه ومن علمه وقد أثرت في تاريخ الإنسانية برمتها. واعتز بها إذ اعتبرها أجمل ما يشغله ذلك الإغراء عنها ولعله السبب الرئيسي في تخليه عن التدريس للمرة الثانية، إذ تمكن هذه المرة من أن يروّي روحه الضمانة إلى نور العلم. وأكمل ما تبقى من أيامه في جو هذه الحياة الجديدة وكرسها للتدريس الذي ألحته عليه الدولة إلحاحاً شديداً. والتصوف وتعليم الحديث ومجالسة العلماء إلى أن وافته المنية سنة 505هـ سنة 1111م.

هذه حياة الغزالي وذاك عصره فهو شخصية اهتزت لها الإنسانية عامة والإسلامية خاصة ولا يزل نورها يشع إلى يومنا هذا.

وبين مناصر ومعارض تقلبت أفكاره وما جاء به من علم ككل عالم فمنهم من أفراد في الشكر والتقدير ومنهم من أحف في التقدير والتقييم لكن ما ميزه أن خصومه يقرون قبل إقرار أنصاره أنه يمثل علماً عظيماً في تاريخ الفكر الإسلامي >> وقد قال عنه هنري لاوست (H. Laoust) " إن قصة تأثير الغزالي لازالت لم تكتب بعدا ... ولكن الغزالي

<sup>1</sup> - البخاري حمانه- الإدراك الحسي عند الغزالي ( دراسة نفسية مقارنة) ط2- 2013- ص10-13.

الذي عرف خصوما كما عرف معجبين ظل حاضرا حتى أيامنا هذه حيث أن كثيرا من المشاكل التي شغلته لازالت تحتفظ بصورة مخيفة بأهميتها بدون حل إلى اليوم" <<1.

- ولم يتوقف "الغزالي" عن التأليف والكتابة في السنوات العشر التي قضاها في التنقل والعبادة. تنطلق كلها من أفكاره وقد تجسدت في عدد ضخم. أهم ما يوحدها هو الفكر الغزالي الذي تمثل في الفكرة الدينية، وقد اختلف الباحثون القدامى والمعاصرين في عدد هذه الكتب وفي أسمائها ونسبتها إليه. وقد ذكر "السبكي" في الطبقات ما يقارب ستين كتاباً، كما ذكر "الزبيدي" في إتحاف السادة ما يقارب من ثمانين كتاباً ويعتبر "موييس موببيج" أول من دون آثار "الغزالي" تدويناً دقيقاً. وعدد عناوينها فذكر 389 عنواناً. قد نسبت إلى الإمام الغزالي كتباً حملت مواضيع السحر والعلوم الخفية وهذا ما نفاه الدكتور "عبد الرحمان بدوي" كما وضع كتباً عم مؤلفاته ووجد أن 69 كتاباً هو من ألفها حقاً.

كما اجتهد كل من الدكتور "جميل صليبا" و"كامل عياد" من إعداد قائمة لمؤلفات "الغزالي". ضمت 228 كتاباً ورسالة منها ما هو مطبوع ومخطوط ومفقود. ولم يضمنا عملهما هذه الكتب المشكوك في نسبتها إليه.

>> يقول الدكتور عبد الحليم محمود " لقد ألف الإمام الغزالي عشرات الكتب ... منها في الفقه ... ومنها في علم الكلام ... ومنها في الفلسفة ... ومنها في التصوف ... بيد أننا إذا تصفحنا مؤلفات الإمام الغزالي سواء منها ما ألف قبل فترة تصوفه وما ألف في أثنائها. فإننا نجد أنّ أهمّها في نظر الباحث الذي يريد أن يحدّد شخصيته ومنهجه واتجاهه ثلاثة؛ وهي فضلاً عن ذلك تعتبر في نظرنا أهم كتبه على الإطلاق <<2.

وحتى لم يألف الغزالي غيرها لظل الشخصية الكبيرة العظيمة. الشخصية الفيلسوفة. ولكن عند تأليفها لها حمل كنية الإمام صاحب النور المشع على الدهر.

<sup>1</sup> - البخاري حمّانة- الإدراك الحسي عند الغزالي (دراسة نفسية مقارنة) ط2- ص13.

<sup>2</sup> - الإمام الغزالي- تهافت الفلاسفة (قدّم له وضبط له أحمد شمس الدين) ط4- 2010- بيروت- ص

## (3)- فلسفة الغزالي:

- درس الغزالي الفلسفة واطلع عليها وعلى منتهى علومها في أقل من سنتين. فوجد فيها الغرائب والعجائب التي لم يرض عنها. وربما هذا هو السبب الذي دفع الغزالي إلى تأليف أحد أشهر كتبه وهو " تهافت الفلاسفة ". الذي مثّل ثورة من الغزالي على الفلاسفة ومواقفهم الفلسفية. وهنا يجب الإشارة إلى نقطة مهمّة، قد يخطأ في تقديرها الكثيرين. فقد يعتقد البعض أن الغزالي هاجم الفلسفة وانتقدها والحقيقة غير ذلك لأن "أبو حامد الغزالي" هاجم وانتقد الفلاسفة وأرائهم الفلسفية وليس الفلسفة. وإلا كان متناقض مع نفسه لأنه هو الآخر كتب في الفلسفة وأحسن مثال هو كتاب " تهافت الفلاسفة " >> وقد ألفه كما يقول في مقدمته "ردّاً على الفلاسفة القدماء. مبيّناً تهافت عقيدتهم وتناقض كلمتهم فيما يتعلّق بالإلهيات؛ وكاشفاً من غوائل مذهبهم وعوراتهم، التي هي على التحقيق مضاحك العقلاء وعبرة عند الأذكياء <<<sup>1</sup>.

- وقد عدّد الغزالي في كتابه هذا عشرين مسألة ووضع فيها تناقض الفلاسفة. وهي تدور حول ثلاثة مواضيع أولها العالم وثانيها الله وثالثها النفس. وهذه المسائل التي ذكرها الغزالي مستنبطة من الإلهيات والطبيعيّات؛ فهي تخدم بتعاليم الدين وتشكل خطراً علة العقيدة الإسلاميّة.

ففي المسألة الأولى كما أشرنا أبطل قول الفلاسفة عند قولهم يقدم العالم. فقد تناقض جملة من الفلاسفة حول هذه القضية إلى أن وصلوا إلى رأي واحد وهو الذي ناقضهم الغزالي فيه - قدم العالم - .

- وقد ظهرت حالات شاذّة في آراء بعض الفلاسفة إذ ورد أن " أفلاطون " قال أنّ العالم مكوّن ومحدث. وقد أشار " جالينوس " في آخر عمره ... في كتابه ( ما يعتقد جالينوس رأياً) أنّه لا يمكن له أن يعرف أهو قديم أو محدث، وهذا لإستحصاء هذه المسألة. ولكن ذهب جميع الفلاسفة إلى أنه قديم. وقد استندوا إلى أدلة عدة، اقتصر العلامة أبو حامد الغزالي في كتابه " تهافت الفلاسفة " على ماله وقّع في النفس على حد قوله وأول هذه الأدلة >> قولهم يستحيل صدور حادث من قديم مطلقاً. لأن إذا فرضنا القديم ولم يصدر منه

<sup>1</sup> - الغزالي- تهافت الفلاسفة - (قدم له وضبط نصّه أحمد شمس الدين ) ط4- 2010- ص19.

العالم مثلاً. فإنّما لم يصدر لأنّه لم يكن للوجود مرّجح. بل كان وجود العالم ممكناً إمكانيّاً صرفاً. فإذا حدث ذلك لم يخل. إمّا أن يتجدّد مرجح أو لم يتجدّد. فإن لم يتجدّد مرجح، بقيّ العالم على الإمكان الصرف. كما كان قبل ذلك. وإن تجدّد مرجح فمن محدث ذلك المرجح؟ ولم حدث الآن ولم يحدث من قبل؟ والسؤال في حدوث المرجح قائم <<1.

- وقد ردّ " الغزالي " عن هذا الدليل وتصدّاه بالاعتراض من وجهين اثنين. فأقرّ أنّه من الجائز أن يصدر حادث من قديم. إذ وجد أنّ العالم هو حادث بمشيئة قديمة. ومنعهم لذلك بقولهم أن عجز المشيئة الإلهية عن تخصيص الأوقات المتماثلة والمتساوية لأحداث العالم، إنّما هو قول مرفوض. وقد رفضه لوجهين هو الآخر أولهما أنه لا يجدر بهم أن يماثلوا الإرادة الإلهية بالإرادة البشرية. ثانيها أن الإرادة صفة تستطيع أن تفصل المتشابهات. والوجه الثاني الذي قدّمه " أبو حامد الغزالي " ليفند دليلهم هو إنكارهم لصدور الحادث عن القديم إنّما هو إنكار شكلي وهذا ما شهدته ألسنتهم فقط. فقد استحال تسلسل العلل إلى غير نهاية >> فإن قيل لنا دليل على استحالة تسلسل العلل إلى غير النهاية دون تسلسل ما سواها بل على أصل المدّعي. أعني ثبوت علّة للعالم واجبة بدتها تقريره، أن موجودات العالم. لو كان بعضها علة لبعض إلى غير النهاية. لحصلت سلسلة من الممكنات غير متناهية وهو يستلزم المحال <<2.

- فالملازمة الأولى واضحة. إذ أنّ العليّة لا يجب أن تنتهي بين الموجودات فلو كان من تلك الموجودات ما هو بغير حاجة للعلّة لانتهت العليّة. فالمحتاج إلى العلة ممكن حتماً. والملازمة الثانية، هو أن مجموع تلك السلسلة ممكنة فهي تمثّل مجموعة من العلل والمعلولات ومن الواجب الجمع بينهما.

- والشيء غير المركب يحتاج إلى جمع أجزائه وما دامت العلة موجودة مستقلّة.  
- وقد قدّم " الغزالي " مثلاً في ذلك في قوله: >> فإن الرّجل إذا تلقّف بطلاق زوجته، ولم يحص البيونة في الحال، لم يتصوّر أن تحصل بعده. لأنّه جعل اللّفظ علّة للحكم بالوضع والاصطلاح. فلم يعقل تأخر المعلول. إلاّ أن يعلّق الطلاق بمجيء العدة. أو بدخول الدار فلا

<sup>1</sup> - أبو حامد الغزالي- تهافت الفلاسفة - (قدّم له وعلّق عليه وشرحه د. علي بو ملحم) ط1- 1994- ص44.

<sup>2</sup> - علاء الدين الطوسي- تهافت الفلاسفة- (تحقيق وتحليل د.رضا سعادة) ط1- 1990- ص153.

يقع في الحال ولكنّه يقع عند مجيء العدة وعند دخول الدار فإنّه جعله علةً بالإضافة إلى شيء منتظر >><sup>1</sup>.

أما الدليل الثاني الذي قدّمه الفلاسفة وعارضه " الغزالي " وهو أنّهم قالوا بأنّهم بأنّه من المستحيل أن يتقدّم الله على العالم. وإن تقدّم يتقدّم إمّا بالذات أو بالزمان نحو تقدّم المائة على الألف وتقدّم السبب على المسبّب كتقدّم حركة اهتزاز الغصن على حركة ظلّه. فهذا التقدّم لا يوضّح التقدّم الزمني. بحيث الله والعالم قديمين أو حادثين. والأحوال أنّ الله قديم إذن فالعالم قديم.

وإذا أريد أن يبين أن الله متقدّم على العالم بالزمان لا بالذات يتضح أن العالم لم يكن موجوداً في زمان لم يوجد فيه الزمان.

أعني قبل أن يوجد الزمان كان هناك زمان غير متناهي. ومن المعروف أن الزمان يتماشى والحركة. فهناك حركة قديمة ومحركها قديم وهو العالم.

- وقد تصدّى " الغزالي " لهذا الدليل بقوله: >> أن الزمان حادث ومخلوق وليس قبله زمان أصلاً " ونعني بقولنا إنّ الله متقدّم على العالم والزمان أنّه كان ولا عالم ثم كان ومعه عالم" أما افتراضنا لوجود زمان سابق على الزمان والعالم المشتمل على الزمان، فهو افتراض من قبل الوهم الذي يعجز عن تصوّر بداية لا قبل لها، أما العقل فيدرك ذلك إدراكاً واضحاً >><sup>2</sup>.  
فالمسأل أن الله تعالى قديم وقادر وإن أراد شيئاً يقول له كن فيكون وليس في قدرته ما يستوجب امتداد الزمان.

وأما عن دليلهم الثالث فقد >> تمسّكوا بأن قالوا وجود العالم ممكن قبل وجوده. إذ يستحيل أن يكون ممتنعاً ثم يصير ممكناً وجوده، إذ لا حال من الأحوال يمكن أن يوصف العالم فيه بأنّه ممتنع الوجود >>، فقد تساءل هؤلاء عن عدم إمكانية خلق العالم وكيف تحولت إلى الإمكانية وتساءلوا عن كيفية تحوّل الخالق من العجز إلى القدرة.

وقد ردّ عليهم أبو حامد الغزالي في هذه النقطة أيضاً مقرّاً أن العالم دائماً ممكن الحدوث. ولكن لا يلزم عن ذلك أنّه موجود أبداً. وإلاّ أسميناها قديماً لا حديثاً. لأنّ القديم

<sup>1</sup>- أبو حامد الغزالي- (قدّم له وعلّق عليه وشرحه علي بو ملحم) ط1- 1994- ص46.

<sup>2</sup>- أبو حامد الغزالي - تهافت الفلاسفة ( قدم له وعلّق عليه وشرحه د. علي بو ملحم) ط1- 1994- ص

ليس ممكن الحدوث بل من الواجب أن يحدث والفلاسفة يعتبرون الكون ممكن دوماً. أي يجب أن يحدث في أي وقت.

والدليل الرابع مضمونه أن المادّة الموجودة في الحادث تسبقه. واعتبروا الحدوث مجرد دوران وتعاقب للصور والكيفيات على المادّة. فإذا افترضنا العالم حديث فقد كان حدوثه ممكناً. ويستحيل أن يمتنع لأن الممتنع لا يحدث قط. كما أنه من المستحيل أن يكون واجبا أيضاً لكان الواجب لا يندم بتاتاً. لذا فالعالم ممكن بذاته. والإمكان صفة يجب أن يستوفي مضافاً وهو المادّة. ومن غير الممكن أن توجد مادة للمادّة وإلا كانت حادثة وعليه يصبح إمكانها قائماً بنفسه وهذا مخالفاً. أو أن يقوم على مادّة أخرى وتلك المادّة تقوم على أخرى فيجري بنا الأمر إلى عدد غير متناهي وهذا مخالف أيضاً؛ فالمادّة الأولى ليست حادثة بل أزلية.

- ولم يفوت " الغزالي " الردّ على هذا الدليل إذ قدّم إجابة شافية وقد كان جوابه أن الإمكان راجع إلى فضاء العقل وليس راجعاً إلى الموضوع الذي يقوم فيه الإمكان كما أشار هؤلاء الفلاسفة. فكل من الممتنع والممكن والواجب قضايا تندرج ضمن العقل لا تحتاج إلى محل مثل الصّفات العامة فهي الأخرى غنية عن ذلك. كسواد والبياض فالعقل يقر بأنه ممكنة إلا أنّ هناك الصّفتان غير موجودتان في ذاتيهما وإنّما توجد المادّة التي تقبل السواد أو البياض. أ- الدّين:

- لقد نظر " الغزالي " إلى أحوال العلماء في عصره نظرة مليئة بالنقد البناء فهو من هنا فكّر بوضع نهج عام يصلح به الأُمَّة الإسلاميّة من الشّوائب المفسدة للروح الدّينية ولعلّ هذا ما قصدناه في تحليلنا التّالي:

>> لقد استطاع الغزالي بقدرة المفكر أن يشيع الفكرة الدّينيّة العامّة التي رفع بها معه شأن الآراء الصّوفيّة وجعلها من العوامل الفعّالة في الحياة الدّينيّة في الإسلام والغزالي - كما يبدو لدراسة بشكل عام - واحد من أكبر مفكّري الإسلام ولعلّه أقربهم إلى الإنكار فأرائه في التربية والتعليم وحدها يمكن أن تعتبر تجديداً مهماً في وضع قواعد سلوكيّة

للمديرين وطلبة العلم فهو من القائلين بأن التربية يجب أن تتناول العناصر الثلاثة الروح والعقل والجسم >><sup>1</sup>.

>> هدم الغزالي نطاق الفلاسفة ونطاق الزنادقة الآخرين وأقام نظام علم الكلام النسبي وظلّت مؤلفاته في هذا الموضوع معبرة كاملة عن العقيدة الإسلامية ومؤلفه الرئيسي هو كتاب إحياء علوم الدين ويشمل هذا الكتاب على معارف مفصّلة عمّا يأمر به الإسلام أو ترضى به من الشّعائر وأعمال الخير التي لا تشتغل بالدنيا >><sup>2</sup>.

يعتبر " أبي حامد الغزالي " إمام المسلمين لأنه يسعى إلى وضع نظام ديني يقوم على أساس الرّوح الدّينيّة التي تبنى أساسا على الأخلاق الإسلامية الواضحة.

- لقد برع " الغزالي " في ميادين عديدة تعدّت الفلسفة ليصل عالمًا بيولوجيًا يهتم بفنّ التسريح وعالمًا فسيولوجيًا فكانت له مكانة مرموقة وسط الفلاسفة وعلماء الدين فقد كان من خلال مؤلفاته تلاشي الشخصية كمتكلم وكفيلسوف وكصوفي.

>> وكان الغزالي بشهادة بعض دراسه واضع علم النفس عند الإسلاميين ولذلك فهو يبدو أحيانًا في دراساته عالمًا فسيولوجيًا وبيولوجيًا بارعا أتقن فنّ التشريح إلى درجة الاعتراف له بالتقدير، رغم علمنا بعدم تجربته في هذا النوع من الفن، كذلك نلاحظ من خلال دراسته أنّه لم يعن بالظواهر فحسب بل امتدّ إهتمامه إلى الباطن وأهمّ ما شغله طوال سنين اضطرابه هذا السّؤال: كيف يطهر قلبه؟؟ أو من هنا >> قد عالج موضوع طهارة القلب لأنّها وسيلة المناجاة التي يتطلّع إليها الصّوفية >><sup>3</sup>.

>> ولما يحجّه يراع الغزالي من مدح العلم العظيم غير هذا المدح موجه إلى مفهوم يشابه مفهوم الحكمة أكثر من مشابهته مفهوم العلم بحصر المعنى وذلك كما في العلل النصرانية ... قال الغزالي ملاحظًا: >> واختلفت الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم فنفروا فيه أكثر من عشرين فرقة ولا نطيل بنقل التفصيل ولكن حاملة أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون: هو علم الكلام وقال الفقهاء: هو علم الفقه وقال

<sup>1</sup> - عبد الأمير الأعمش- الفيلسوف الغزالي إعادة تقويم لمنحى تطوره الرّوحي - ( ساعدت جامعة بغداد على نشره )- دار الأندلس - ص54.

<sup>2</sup> - البارون كارادوقو- الغزالي ( نقله إلى العربية عادل زعيتر) - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ط2- ص81.

<sup>3</sup> - عبد الأمير الأعمش - الفيلسوف الغزالي- إعادة تقويم لمنحى الرّوحي- (ساعدت جامعة بغداد على نشره)- دار الأندلس- ط3- ص53.

المفسرون والمحدثون: هو علم الكتاب والسنة وقال المتصوفة: المراد به علم التصوف <<1.

- عند الغزالي العلم ينقسم إلى علم معاملة ومكاشفة (هكذا) يكون الغزالي قد قسم العلم إلى قسمين مختلفين.

### مناهج الأدلة وموازين المعرفة:

سعى " الغزالي " إلى تحديد مناهج الأدلة وموازين المعرفة وهذا عند وصوله إلى إدراك معيار الحقيقة بمختلف أنواعها. >> لما وصل الغزالي إلى إدراك معيار الحقيقة بأشكاله الثلاثة انطلق يرسم الأدلة ويحدد موازين المعرفة انطلاقاً من ذاته فجعل الموازين العرفانية ثلاثة ميزان التعادل وميزان التلازم وميزان التعاقد، وقسم ميزان التعادل ثلاثة أقسام فأصبح مجموعها خمسة موازين، ميزان التعادل هو أن نرتب أصليين على وجه من الوجود ثم نستخلص منها علماً جديداً لازماً عنها وقد قسم ميزان التعادل في كتابه " القسطاس " المستقيم إلى ثلاثة <<2 >> موازين هي ميزان التعادل الأكبر وميزان التعادل الأوسط وميزان التعادل الأصغر، ميزان التلازم هو أن نبدأ من دعوى الخصم التي تخالف دعوانا وميزان التعاقد إذا أردنا أن نعرف حقيقة مشكلة من المشاكل لا بد لنا أن نضعه بين افتراضين قيمة موازين المعرفة يرى أن الموازين لكي تكون صحيحة لا بد من استخدام عيار ثابت <<3.

إن تقسيم الغزالي لموازين العرفانية الثلاثة في كتابه "القسطاس" المستقيم وهنا ربط الغزالي بين المعرفة والمنطق وبدأت تظهر آليات التفكير المنطقيين عنه.

### ب- فكرة السببية عند أبو حامد الغزالي:

المقصود بالسببية عامة العلاقة بين السبب والمسبب، ومبدأ السببية هو أحد مبادئ العقل، ويعبر الفلاسفة عن ذلك بقولهم، أن لكل ظاهرة سبب أو علة، فما من شيء إلا لوجوده شيء، أي مبدأ يفسر وجوده. ومبدأ السببية يعني أن لكل ظاهرة مهما كانت طبيعتها

<sup>1</sup> - البارون كارادوقو- الغزالي- ( نقله إلى العربية عادل زعيتر)- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- ط2- بيروت- ص82.

<sup>2</sup> - مصطفى غالب الغزالي- في سبيل الموسوعة الفلسفية – منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر- بيروت: لبنان- 1990- ص77.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه – ص79.

اجتماعية- سياسية- فيزيائية. أو غير ذلك سبب يحدثها، وبهذا المعنى يقترب مفهوم السببية من فكرة القانون التي أضحت غاية العلوم الاجتماعية والإنسانية اليوم، ومعنى السببية يرادف معنى العلية أو العلة " cause " .

لقد تعرض " أبو حامد الغزالي " لمجموعة من المسائل الفلسفية. من أهمها مسألة السببية فهو يقول: << إن الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً، وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنه بل بكل شيئين لسبب هذا ولا ذلك، ولا ذلك ولا هذا، ولا إثبات أحدهما متضمن لإثبات الآخر، ولا نفيه متضمن لنفي الآخر، فليس على ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر، ولا من ضرورة عدد أحدهما عدم الآخر. مثل الري والشرب، والشبع، والأكل، والشقاء، وشرب الدواء ... وهلم جرّاً إلى كل المشاهدات من المقترنات في الطب، والنجوم، والصناعات و... وإن اقترانها لما سبق من تقدير <<1، الله سبحانه وتعالى لخلقها على التساوي، لا لكزنه ضرورياً في نفسه غير قابل للفرق.

يقصد " الغزالي " بأنه لما تتعاقب حادثتين، فالأولى تسمى سبباً، والثانية تسمى مسبباً، ولما نعتاد مشاهدة هذا التعاقب لا يمكن لنا أن نستنتج بأن الحادثة الأولى علة لوجود الثانية- كما يقول قانون السببية، ولا يسمح لنا من تعاقب شيئين بانتظام أن الثاني هو سبب في حدوث الأول، هذا نعني أنه نكران للسببية في حوادث طبيعية.

- هنا يرى نفس ما رآه الغزالي الذي أنكر الضرورة العقلية لقانون السببية هو " دافيد هيوم " الذي جاء في القرن الثامن عشر، حيث انتقد قانون السببية هو الآخر، فيرى أنه لا يوجد علاقة بين السبب والمسبب هو ذلك التعاقب المنتظم للسبب والمسبب. وهذا دليل غير كاف لكي نبرهن العلاقة الضرورية بينهما كما ينص قانون السببية العام في رأي " أبو حامد الغزالي " في العصر العباسي. وما رآه " دافيد هيوم " " David Hume " في القرن 18.

- لم يتمادى " الغزالي " في إنكار السببية، ذلك لأن إنكار السببية يؤدي بنا إلى ارتكاب أخطاء فادحة إلى درجة أننا نستطيع أن نرى الحيوان شيء آخر غير حيوان... إلخ. فهو

<sup>1</sup> - حجة الإسلام. أبي حامد الغزالي- المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي الغزاة والجلال - من كتاب تهافت الفلاسفة- ص123.

يجيب على ذلك قائلا: >> إنَّ الله تعالى خلق لنا علماً بأن هذه الممكنات لم يفعلها. ولم تدعَّ أن هذه الأمور واجبة. بل هي ممكنة يجوز أن تقع، ويجوز أن لا تقع، واستمرار العادة بها مرة بعد أخرى ترسخ في أذهاننا جريانها، على وفق العادة الماضية ترسخاً لا تنفك عنه..إنه لم ينبت من الشعير حنطة ولا من بذور الكمثري تفاح .. ولكن من إستقرأ عجائب العلوم يستبعد من قدرة الله ما يحكى من معجزات الأنبياء >><sup>1</sup>.

- إن المراد من قول " أبو حامد الغزالي " هذا هو ترك مجالاً للمعجزات، لأنه أنكر الضرورة العقلية في قانون السببية، وبهذا فهو لم يخضع العقل والعلم لدينه الحنيف، فتفكيره تفكيراً محكماً، ولم يظهر الشك عنده إلا للدفاع عن حقيقة الدين، وقد أفلح في إرجاع أصل الدين إلى الكشف الباطني، والإيمان القلبي، فهو يُدَيِّنُ العقل ولا يعقل الدين حين إحتاج للبرهنة على معجزات الأنبياء، حين كان الفلاسفة على عكسه إذ أنهم يعقلون الدين، وقد حاول " الغزالي " أن يعلل المعجزات تعليلاً طبيعياً فقال: >> وكذلك إحياء الميت وقلب العصا ثعباناً ممكن بهذا الطريق. وهو إن المادة قابلة لكل شيء: فالتراب وسائر العناصر يستحيل نباتاً ثم النبات يستحيل

### - نقد الغزالي لقول الفلاسفة في السببية:

يتمحور الكلام على السببية في الفلسفة حسب " الغزالي " في أقسام الكلام التالية أو في ثلاث نقاط، حيث إن الفلاسفة تبناها وعارضها أبو حامد الغزالي:

**1- ضرورة الاقتران بين الأسباب:** قال الفلاسفة بضرورة الاقتران بين الأسباب في الوجود وبين المسببات وهذا اقتران ملازم حسبهم بالضرورة فلا يمكن أن يوجد السبب دون المسبب، ويمكن العكس كذلك، فمثلا القطن لا يحترق إلا إذا لاقى النار، والنار لا تحرق إلا إذا لاقى القطن، فمن خلال هذا المثال يتضح لنا أنه هنا ترابط ضروري بين السبب والمسبب.

**2- نظام الكون:** الكون له نظام محكم وسنن وقوانين دقيقة مطردة وكل هذا ضمن الإطار الكلي للقدرة الإلهية، فإله سبحانه وتعالى خلق الكون وجعل له نظام. وهذا النظام هو بمثابة

<sup>1</sup> - حجة الإسلام. أبي حامد الغزالي- المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال - من كتاب تهافت الفلاسفة - ص68.

السنن والقوانين الكونية، وبدونه يصبح الكون عرضة للتغيرات العشوائية، فإن لم نقل بالنظام المحكم المتمثل في السنن والقوانين الكلية التي تحكم الخلق والمخلوقات يصبح من الممكن القول أننا تركنا كلباً في المنزل وبعدها عدنا وجدناه طفلاً، أو العكس.

**3- المعجزات:** ينكر الفلاسفة المعجزات لأنها خرق لقوانين الطبيعة، ونظام الكون المحكم.

ولكنهم ميّزوا في الأفعال الخارقة للأنبياء الذين حصل على أيديهم هذا الأمر إلى قسمين:

- **تفسير المعجزة (تأويلاً):** كأن نقول " النبي فلا أحياء الموتى " والمقصود من ذلك عبر

التأويل الجاهل عندما بثّ النبي العلم يكون قد أخرج من الموت الجهل إلى الحياة (العلم).

- **تفسير المعجزة تعليلاً:** وذلك عبر رد المعجزة إلى قوى طبيعياً، فالنبي قد يتميّز بالأمور

التالية:

أ- **المتخيلة:** إن مخيلة الأنبياء قوية ذات طبيعة عالية، تكون قد اطلعت إلى اللوح المحفوظ

(العقل الفعّال) واستمدّت منه المعارف، وهذا الأمر يحصل لهم في اليقظة والمنام، بينما هو

غير متميّز لسائر البشر إلا عبر المنام وبسببية بسيطة.

ب- **العقل النظري:** حيث يقوي الحدس والإلهام والإشراق لدى النبي فيصبح لديه قدرة هائلة

للانتقال من الجزئيات إلى الكليات، من المطالب إلى المعارف.

ج- **العقل العملي:** حيث تحصل له قدرة على فعل أمور بقوى طبيعية عالية، بحيث يفعل

أمور لا يمكن لأحد الإتيان بمثلها.

- لقد قال " أبو حامد الغزالي " بسببية وحيدة، وهي تلك السببية التي تمتلك الحرية التامة

في الإرادة. والمعرفة الشاملة. وهي التي يعود الفضل إليها في الاستدلال في حقيقة الإله

فإن >> المبدأ الأول أي " الله " عالم، قادر، مرید، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، يخلق

المختلفات والمتجانسات كما يريد. وعلى ما يريد <<<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - حجة الإسلام. أبي حامد الغزالي- المنقذ من الظلال - من كتاب ابن خلون المقدمة- فصل في أن الدعوة الدينية من

غير عصبية لا تتم- ص 24.

- يجيلنا " الغزالي " عن سؤال كيف يصدا الفعل من الله بالإرادة. بأن هذا فضول وطمع في غير مطمع لأن - >> هذه الأمور مما لا تنتسح له القوى البشرية، وفي الناس من يذهب إلى أن حقائق الأمور الإلهية لا تُنال بنظر العقل، بل ليس في قوة البشر الإطلاع عليها >><sup>1</sup>.
- إن الكشف الباطني واليقين الشخصي والحدسي، حسب اعتقاد الغزالي، هو الذي يثبت لنا وجود الله، وهنا اقتراب كثير من التصوف أو التصوف في حد ذاته، ذلك لأن نفس الإنسان قبس من نور الله، فالغزالي يعارض تمامًا المذاهب المختلفة في الحلول والإتحاد والوصول، وهو كذلك ينكر نظرية وحدة الوجود التي تجعل الطبيعة أيضًا جزءًا من القوة الإلهية.
- ويقف ضد قول الفلاسفة المسلمين، " أن الله لا يعلم إلا نفسه، وأنه لا يعلم الجزئيات المنقسمة بانقسام الزمن إلى "الآن" وإلى "ما كان" وما يكون، وأنه لا يمكن أن يكون خلق العالم من لا شيء، فهو لاء يرون أنه ما يحدث في العالم، هو عبارة تحول مستمر في أعراض الجوهر وصورة أي المادة نفسها، ثم الانتقال من الممكن إلى ممكن آخر، ولكن الغزالي يرفض كل هذا ويتساءل: ألا يحدث شيء جديد في العالم؟
- ويرى الغزالي أن وحدة الحقيقة الإلهية إنما تتمثل في الإرادة قبل غيرها وهو يرى فكرة تعارض تمامًا فكرة الفلاسفة الإسلام >> إن الله يعرف العالم، لأن إرادته هي التي اقتضت وجود هذا العالم >><sup>2</sup>.
- من هذا يمكن التعقيب على الغزالي بأنه قد حط وتجاهل فكرة حدوث العالم. التي يريد أم يثبتها وبفكرة اختيار الإنسان، وهو يفعل هذا للدفاع عن الإرادة الإلهية الأبدية.

### ج- الشك عند أبو حامد الغزالي:

- لما كان هناك اختلاف واضطراب بين الفرق الكلامية. وتطاحن بين المذاهب، في زمن الغزالي الذي اعتبره تيهان في صحراء دون دليل أو قائد. فهم يمشون في ظلام دامس،

<sup>1</sup>- المرجع نفسه - من كتاب تهافت الفلاسفة- ص44.

<sup>2</sup>- حجة الإسلام. أبي حامد الغزالي - المنقذ من الضلال - ص45.

فيقول: >> وقد كان التعطش إدراك حقائق الأمور دأبي وديني، من أول أمري ورعان عمري، غريزة وفطرة من الله، وضعتا في جبلتي، لا باختياري وحيلتي >><sup>1</sup>.

- من هذا تغيرت عقلية الغزالي في التفكير الفلسفي، وأصبح يشك في كل شيء حينئذ تمسك بالإيمان الصوفي باعتباره علماً وقيناً.

- والشك الذي اتبعه الغزالي يختلف تمام عن الشك الإرتيابي الهدام، ذلك أن الشك المنهجي كما يقول " الدكتور محمود زقروق " : لا ينكر الحقيقة كم ينكرها الشك الإرتيابي، وإنما هو شك يبحث عن الحقيقة المطلقة، ويحاول أن يجد لها أساساً مطلقاً، فعادة في التفلسف يأتي بشك فلسفي، الذي هو أساس البحث عن الحقيقة، والشك بالطريقة الغزالية لا يغلق على نفسه داخل حيز مغلق وذلك حتى يستطيع الخروج بسهولة.

- يرى الدكتور " محمود زقروق " أن حركة الشك عند الغزالي تبدأ إلى حد ما عند محيط الدائرة، عند شهادة الحس، لكي تندفع بعد ذلك في نهاية الأمر إلى مركز الشخص. حيث يجد كل يقين لدى الإنسان جذوره، فالعلم عند الغزالي إما أن يكون بالمحسوسات وإما أن يكون بالعقليات، فهو لا يثق بالمحسوس لأنك إذا رأيت مثلاً الطائرة في السماء فهي تظهر مثل النجوم وفي الحقيقة هي أكبر، ويرجع إلى العقل الذي يفقد فيه الثقة هو الآخر، فالعقل والحس يفقدان الثقة في بعضهما، وهنا يقول: >> فقالت المحسوسات بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات، وقد كنت واثقاً بي فجاء حاكم العقل فكذبني، ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي، فلعل وراء إدراك العقل في حكمه، كما تجلى كذب العقل في حكمه، كما تجلى كذب العقل في حكمه، كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه >><sup>2</sup>.

- يبدوا تفسير الغزالي هذا معقداً نوعاً ما، لأنها أدوار غريبة ولا تتمثل في نفسية الغزالي، ويبعدُ تحديد الشك عنده.

- يظهر عند الغزالي نزاع بين ماهو محسوس وما هو معقول. فهذا هو أسلوبه في التفكير ومجادلته الكلامية، فهو يمزج بين المقول والمسموع. وطريقته في الكتابة تؤثر على القارئ من جميع النواحي في عقله وشعوره وحده.

<sup>1</sup> - حجة الإسلام. أبي حامد الغزالي- المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي الغزاة والجلال- (حققه وقدمه له د.جميل صيلبا- د.كامل عياد). دار الأندلس للطباعة والنشر - ص32.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه- ص34-35.

- والحدس هو ما ساعد الغزالي في الخروج من دائرة الشك: وهو يقول: << وعادت النفس إل الصحة والاعتدال. ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثقاً بها على أمن ويقين، ولم يك ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنوره قذفه الله تعالى في الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المجردة، فقد ضيَّق رحمة الله الواسعة >><sup>1</sup>.

ويقرر الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال، أن الحواس تخدعنا. وأن المعارف الحسية بناءً على ذلك عارية عن اليقين، ولهذا فلا يمكن أن تعد علمًا حقيقيًا، يقول في ذلك: << من أين الثقة بالمحسوسات. وأقواها البصر، وهي تنظر إلى الظل فتراه واقفاً غير متحرك، وتحكم ينفي الحركة؟ ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة تعرف أنه متحرك، وأنه لم يتحرك دفعة بغتة، بل على التدريج ذرة ذرة، حتى لم تكن له حالة وقوف، هذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه، ويكذبه حاكم العقل، ويخونه تكذيباً لا سبيل إلى مدافعته. فقلت قد بطلت الثقة بالمحسوسات أيضاً >><sup>2</sup>.

- **الشك في العقل:** بعد أن رأى الغزالي ما رآها ديكارت، من أن المعرفة الحسية فيها شك وخداع، فرفضها الغزالي مبدئيًا، وعدم الاعتداد في عملية بحثهما عن الحقيقة، وتحول كل منهما إلى البحث في مدى يقين المعارف العقلية الأولية.

- يقصد هنا الغزالي بالعقل العقل الفلسفي القائم على الاستدلال والاستنباط وهو عرضه للخطأ. مما يوضح قصور العقل الإنساني في الوصول إلى العلم اليقيني، فهو لا يثق بما هو محسوس. ولكن الثقة في العقل الذي هو نوع أولويات الرياضيات مثل أن نقول تسعة أكبر من خمسة، وهو يعطي أهمية كبرى للعقل، ويرى ماذا لو ظهر حاكم فوق العقل؟ فهذا الظهور ليس مستحيل، فقد يظهر في أي وقت وقد يكذب العقل، وبهذا قد اتسع نطاق الشك عند الغزالي.

- هكذا يرى أن العقل هو سيد المحسوسات. لكن هناك سلطان وراء العقل، حيث يقول:

<sup>1</sup> - حجة الإسلام. أبو حامد الغزالي- المنقذ من الضلال- ص36.

<sup>2</sup> - محمد عبد الستار نصار وآخرون- الفكر الفلسفي والأخلاقي- موقع الإسلام أون لاين- ص54.

>> تنفتح فيه عين أخرى، يبصر بها الغيب، وما سيكون في المستقبل وأمورًا أخرى العقل معزول عنها >><sup>1</sup> وهو يرى هذا السلطان الحاكم هو الطريقة الصوفية لأن كل ما يتكلمون به ويسيروا عليه، مقتبسه من نور مشكاة النبوة، أي أنه هناك أمور نورانية يرونها الصوفية، وغيرهم من الفرق، والنور النبوي ليس كمثل نور لأنه وحي من عند الله. والصوفية في نظر الغزالي أقرب من نور مشكاة النبوة.

- إن العقل عند الغزالي يسير مسار الحس، لأنه عاجز على الإحاطة والوصول إلى الحقائق الإلهية، وما بوسعه القدرة علة الوصول إلى الحقيقة الإلهية هو الحدس الديني الذي يدرك به الإنسان ما لا يستطيع العقل أن يدركه فالغزالي قال في معرض الكلام على الفرق: >> الحق لا يعدو هذه الأصناف الأربعة، فهؤلاء هم السالكون سبيل طلب الحق، فإن شدّ الحق عنهم. فلا يبقى في إدراك الحق مطمع >><sup>2</sup>، وهنا يشير بطريقة غير مباشرة إلى أن العقل نطاقه محدود ما يؤدي إلى تصنيف حدود المعرفة.

- لقد ورد موضوع الشك كل من "أبو حامد الغزالي" والفيلسوف الفرنسي "ديكارت". ويجب أن نأخذ بالحسبان أن هناك توافق مثير بين أفكار كل منهما، بل حتى في سيرتهما الذاتية، فالكل منهما عاش في عصر انحلت فيه عرى وحدة الفكرة إل مجموعة من الآراء المتناقضة التي تدعي كل منها لنفسها معرفة الحقيقة. ولكن دون أن نستطيع في النهاية المجيء بالدليل القاطع لصحة هذا الرأي.

- إن "ديكارت" جاء بعد "الغزالي" في زمن يقارب ستة قرون، وقد شك شك فلسفي. نفسه ما كان في فلسفة الغزالي. وهذا دليل قاطع على أن هذا الشك المنهجي كانت أصالته عند الغزالي، وقد بنى ديكارت فلسفته على فلسفة الغزالي. ويأتي فيما بعد المفكر "سمير حلبي" ليكتب مقال بمناسبة ذكرى وفاة أبو حامد الغزالي. ويؤكد فيها حقيقة هذا الرأي فيقول: >> وهذا المنهج الذي اتبعه الغزالي منذ أكثر من تسعة قرون شديد التشابه بما قدمه الفيلسوف الفرنسي "ديكارت"، وهو ما يؤكد تأثره بالفيلسوف الإسلامي الكبير. وأخذ عنه، فقد عاش

<sup>1</sup> - حجة الإسلام. أبي حامد الغزالي- المنقذ من الظلال والموصل إلى ذي العزة والجلال- ص47.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه- ص47.

الفيلسوفان التجربة المعرفية ذاتها، وإن كان فضل السبق والأصالة يظل الغزالي، فعبارة الغزالي " الشك أول مراتب اليقين" التي أوردها في كتابه المنقذ من الضلال<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup>- محمد عبد الستار نصار وآخرون- الفكر الفلسفي والأخلاقي- ص57.

## \_ المبحث الأول:

## 1\_ بيان تركيبة النفس وقوامها وأخلاقها:

لقد تحدّث حجّة الإسلام عن علاقة النفس وقوامها وأخلاقها أي أن علاقة النفس بالأخلاق علاقة قوية في النفس تؤثر في السلوك الأخلاقي.

"على المرء أن يعرف نفسه وقوامها وخواصها ليمكن له مجاهدتها ورياضتها فقد قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس الآيتين 9 و 10)، وإن الله عزّ وجل عظم من عرف نفسه تخصيصاً وإكراماً له، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ (الحجر الآية 28، 29)، وهذا تنبيه على الإنسان مخلوق من جسم مدرك بالبصر ونفس مدركة بالعقل والبصيرة لا بالحواس"<sup>1</sup>.

"يرى الغزالي أن قوى النفس متفاوتة الرتب فبعض هذه القوى أريدت لنفسها وبعضها أريدت لغيرها، وأما الرئيسي المطلق منها فهي التي تراد لنفسها ويراد غيرها لها ولا يكون ذلك إلا في رتبة الأخيرة التي تتفاوت فيما رتب الأنبياء والأولياء، وإن الله تعالى خص الإنسان وميزه بقوى نفسية عن سائر المخلوقات"<sup>2</sup>.

النفس عند الغزالي مرتبطة ببعضها البعض وهي مختلفة ومتفاوتة لأن الله تعالى ميّز الإنسان عن باقي الكائنات الأخرى بقوى نفسية متميزة.

<sup>1</sup> زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، ص 150.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 151.

## \_ بيان مفارقة الصوفية طريق غيرهم:

لقد دعا أبي حامد الغزالي إلى تهذيب الأخلاق وتطهير النفس من الأخلاق السيئة ودعا أيضا إلى طلب السعادة الآخروية ولا يكون ذلك إلا بالعلم والعمل.

"إلى جانب العمل متقن عليه من حيث أنه مقصود لمحو الصفات الرديئة وتطهير النفس عن الأخلاق السيئة ولكن جانب العمل مختلف فيه فتباينت فيه طريق الصوفية مع غيرهم من النظار والفقهاء من أهل اعلم فإن الصوفية لم يحرصوا على طلب العلم ودراسة ما صنفه المصنفون في البحث عن حقائق الأمور بل قالوا: "الطريق تقديم المجاهدة لمحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكل همة إلى الله تعالى إذ الأولياء والأنبياء انكشفت لهم الأمور وسعدت نفوسهم نبيل كما لها لا بالتعلم بل بالزهد"<sup>1</sup>.

"وأما شرف العقل والعلم فضرورة دعا إليها الشرع حيث قال صلى الله عليه وسلم: "أول ما خلق الله العقل، فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك، بل أخذ وبك أعطي وبك أتيب وبك أعاقب والدليل على أن العقل من أشرف الأنبياء أن سعادة الدنيا والآخرة لا تنال إلا به وبالعقل صار الإنسان خليفة الله في الأرض"<sup>2</sup>، إذن العلم والعمل فضيلتين حث عليها الإمام أبي حامد الغزالي لأنهما الطريق نحو السعادة الآخروية وبدونهما لا يشعر الإنسان بأنه على صواب.

## 2\_ المعرفة الصوفية عند الغزالي:

إن معرفة الإمام أبي حامد الغزالي معرفة صوفية وسطية لأنها تقوم على الأساس التالي: الموازنة بين المعرفة عند المستشرقين الفلاسفة، والثانية هي المعرفة النفسية المنفصلة عن العقل عند المتصوفة المسلمين.

<sup>1</sup> زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، ص 170.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 171.

"خرج الغزالي بمعرفة صوفية معتدلة أنصفت بين المعرفة الاستشراقية عند الفلاسفة الاستشراقين والمعرفة الروحية البعيدة عن العقل عند المتصوفة الإسلاميين وذلك برده للمعرفة إلى الكينونة الإنسانية الداخلية إلى نور البصيرة أو العقل الذي هو نور اليقين أو الصفة الباطنة وهذه الصفة هي التي تميز بها الإنسان عن البهائم حتى يدرك بها حقائق الأمور وعلى رأسها معرفة الله وليس هو بذلك العقل الذي يعجز عن إدراك الحقائق بل ويسمى هذا الطريق للمعرفة بطريق ما وراء طور العقل تنفتح به عين القلب على أمور العقل المعزول عنها"<sup>1</sup>.

"وهو بذلك لا ينقص من دور العقل الاستدلالي لأنه يعتمد في الوصول إلى معرفة على أن يسلك طريقين إحداها التفكير العقلي والاستدلال المنطقي بعد إعداد النفس بالثقافة والتمكن من المعقولات والثاني طريق التخلص من علائق الشهوات والاتجاه إلى الله بعلم واسع"<sup>2</sup>.

المعرفة الصوفية عند الغزالي معرفة أساسها الوحيد هو الموازنة المذكورة سابقا وهو لا يهمل دور العقل الاستدلالي في المعرفة الصوفية عنده.

إن إمام الفلسفة تحدّث في كتابه "المنقذ من الضلال" و"الموصل إلى ذي العزة والجلال" تطرق إلى موضوع الأخلاق ومسألة التصوف كما تحدّث عن العلم الديني بتقسيمه إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة (المشاهدة).

<sup>1</sup> زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، ص 173.

<sup>2</sup> زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، ص

– "تقسيم الغزالي للعلم الديني كان على النحو التالي:

علم المعاملة: وهو علم العلاقات الحياتية الخاضعة للنفس (معرفة النفس المذمومة والمحمودة) وعليه يندرج تحت هذا العلم كل ما هو كفيل بمعرفة النفس وذنوبها والتخلص من عملية اقترافها ومن المهم أن نلاحظ أن هذه الذنوب لا تكون معرفتها بحدية وحدية أيضا إلا بما يحققه الكشف الباطني في علم المكاشفة.

علم المكاشفة: هو العلم الذي اختص بأصول معرفة الله وإدراك صفاته لأن معرفة الله هي التي تثمر المحبة له ولخلقاته وجوهر هذا العلم ضبطه لموازين علم المعاملة<sup>1</sup>.

"ولما شفاني الله من هذا المرض بفضله وسعة جودة انحصرت أصناف المطالبين عندي في أربع فرق:

المتكلمون: وهم يدعون أهل الرأي والنظر.

الباطنية: وهم يزعمون أنهم أصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم.

الفلاسفة: وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان.

الصوفية: وهم يدعون أنهم خواص الحصرة وأهل المشاهدة والمكاشفة<sup>2</sup>.

لقد بحث الغزالي في علم الكلام ودرس مختلف الفرق الكلامية وقسمهم إلى أربع فرق وكان موقفه من

هذه الفرق موقفا محايدا.

<sup>1</sup> عبد الأمير الأعسم، الفيلسوف الغزالي إعادة تقسيم لتطور منحناه الروحي، منشورات عويدات، بيروت، باريس، أكتوبر، 1977، ص 100، 101.

<sup>2</sup> الإمام الغزالي، المنقذ من الضلال، ص 56

لقد جعل الغزالي التصوف طريقاً إلى المعرفة بالله من خلال المنهج والأداء والموضوع والغاية وهذا ما يعرف عند المعرفة اليقينية.

وقد انفرد في حديثه عن المعرفة الصوفية بمنهجية واضحة كمنهجية متكاملة من حيث أدائها ومنهجها وموضوعها وغايتها، فأما المعرفة الصوفية من حيث أدائها فهي وليدة تجربة روحية عميقة طريقها الرياضة البدنية والمجاهدة بالنفس التي تدفع إلى تجاوز عالم الحس والعقل إلى عالم متصل فيه النفس بمحبوبها الأول تتعرف عليه بالذوق حيث يرى أن تذوق مذاق القوم ويعرف معرفتهم لا بد أن يسلك طريقهم ويجاهد مجاهدتهم<sup>1</sup>.

"ويجّد الغزالي المعرفة الحدسية فيقول من مارس العلوم يحصل له عن طريق الحدس قضايا لا يمكنه إقامة برهان عليها فالمعرفة التي توصل إليها الغزالي من شكه في المعرفة الحدسية وهي معرفة لاشعورية عبارة من نور قذفه الله تعالى في صدره ولكنه لم يكن بمعزل عن العقل وينبغي أن ننوّه إلى أنّ التعبير عن هذه المعرفة الفطرية اليقينية معرفة الذات ومعرفة الله<sup>2</sup>."

إن المعرفة عند الغزالي صوفية استشرافية روحية وقد وجد الغزالي في هذا المنهج ضالته وكان طريقه إلى المعرفة اليقينية ويعرف أيضاً بالكشف الصوفي.

لقد بدأ الغزالي حياته معتزلياً من أصحاب أهل الرأي والحكمة لكن مع مرور الوقت انتهى شاعرياً متصوفاً من أصحاب أهل النص (أهل النقل).

<sup>1</sup> سعدون محمود الساموك، الفلسفة الإسلامية دراسات نقدية منتخبة، كلية الشريعة الجامعة الأردنية، الأكاديميون للنشر والتوزيع، دط، دت، ص 277.

<sup>2</sup> محمد حسن مهدي بخيت، ظاهرة الشك بين الغزالي وديكارت، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، جامعة الأزهر، ص 39، 40.

"وقف الغزالي حياته على العقيدة الإسلامية الخالصة فتناولها من مختلف الجوانب من حيث هي عقيدة التوحيد إسلامية خالصة ومن حيث صلتها بالتصوف والفلسفة وآثار مختلف المباحث في المعرفة المنهج السوي إلى إدراك الحقيقة الدينية المحضة فلَقَّب بحجة الإسلام وعرف بالتوفيق بين العقيدة الإسلامية وبين التصوف"<sup>1</sup>.

"لقد عانى الغزالي في فترة الشك قلعا نفسيا وذهنيا شبهه بالسفسطة لأن الحقيقة عند السفسطائيين ليست بكلية مطلقة ولا بالمسلمة اخضرارا لكنها نسبية متعددة وفيما عدا ذلك فلم تكن حالته النفسية كحالة السفسطائيين لا يشعر بقلق واضطراب ولا يعانى من مرض نفسي بل هو إنسان مطمئن إلى نظرتة ومنهجه خلافا للغزالي"<sup>2</sup>.

عقيدة الغزالي هي عقيدة توحيد الله وحده لا شريك له فهي عقيدة إسلامية خالصة لأنها مرتبطة بالتصوف والزهد في الدنيا فهو مزج بين العقيدة الإسلامية وبين التصوف.

يرى أبي حامد الغزالي أن السعادة في الأخلاق تتحقق بالعلم والعمل وهما صفتان يجب على الإنسان التحلي بهما.

"تتحقق السعادة بالعمل والعلم وهكذا يورث العلم صاحبه ثمرة القرب من الله تعالى والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملائكة الأعلى وأي سعادة بعد ذلك يمكن أن تحقق للعبد هذا عن آخره وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع"<sup>3</sup>.

"إن المحبة عنده ذات طابع صوفي يسبغ عليها من المعاني ما يجعلها في مقام الصدارة بين سائر المقامات وسبيلا للمعرفة الحقيقية بالله وصفاته وهي سبيل المتصوفة لا المتكلمين يصل إليها الأولون بالوجدان والعرفان

<sup>1</sup> صلاح الدين عبد اللطيف الناهي، الخوادم من آراء حجة الإسلام للغزالي، دار الجيل، بيروت، دط، ص 48.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 49.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 54.

ويجهله الآخرون فيلتمسون إلى معرفة الله وصفاته فمذهب المحبة حمل بعض المستشرقين على ما ذكرناه من تبعية الأخلاق الغزالية خاصة الإسلامية عامة للخلفية المسيحية ولا دليل لهم على ذلك"<sup>1</sup>.

إذن السعادة والمحبة عند الغزالي مرتبطة بالعميقة والأخلاق السامية والمتعالية فالسعادة نتيجة العلم والعمل أما المحبة فهي ذات طابع صوفي وكل من السعادة والمحبة هي مصدر المعرفة الحقيقية.

### 3\_ الغضب والشهوة عند الغزالي:

لا يستطيع الإنسان بأي حال قمع شهوته وغضبه قمعاً مطلقاً، وهذا ليس مطلوب ولكن المطلوب هو التوجيه في القيادة فهذا ليس مستحيل وإنما هو فيه نوع من المعاناة.

والغزالي يرى أن الغريزة كلما كانت قديمة كان التغيير فيها أصعب فالشهوة والتكبر موجودة في الإنسان، والشهوة أصعب في التغيير ذلك لأنها أقدم فيها يرى الغزالي أن الصبر تخلق الشهوة في مبدأ الفطرة ثم بعد سبع سنين ربما يخلق له الغضب ثم تكون من بعد ذلك قوة التمييز<sup>2</sup>.

هناك سبب ثاني للغزالي في أن الأخلاق تتغير بسرعة إذا ذكرنا الجهد على تغييرها وعلى ذلك عقدنا العزم أن هذا التغيير يعد حسناً ومرضياً.

يقسم الغزالي الناس إلى أربعة مراتب، مدرجة من الأسهل إلى الأصعب من حيث إمكانية التغيير<sup>3</sup>:

<sup>1</sup> صلاح الدين عبد اللطيف الناهي، الخوالات من أراد حجة الإسلام للغزالي في فلسفة التشريع والتصوف والأخلاق والمعرفة السيامية النظرية، ص 100.

<sup>2</sup> محمد عبد العزيز المعاينة، الفلسفة الإسلامية، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط 1، 2008، ص 215.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 216.

**المرتبة الأولى:** مرتبة الإنسان الذي لا يستطيع التمييز بين الحق والباطل والجميل والقبيح، بل يعزل على كل الاعتقادات - في حالة الفطرة - فالذي هو في هذه المرتبة لا يحتاج لا إلى معلم ولا مرشد، فهو يحتاج إلى باعث من نفسه على المجاهدة، حيث يحسن حلقة في فترة قصيرة، وهذه مرتبة الجاهل.

**المرتبة الثانية:** هي المرتبة التي عرف القبح، إلا أنه لم يتعود إثبات العمل الصالح، بل زين له سوء عمله وانقاد إلى إشباع شهواته. ولما كان هذا الشخص مدركاً لما هو عليه من تقصير، ويكون علاجه بالإقلاع عما تعود عليه من كثرة الفساد ثم يعود نفسه على القيام بالصالحات من الأعمال ومن كان هذا حاله، فإنه يكون قابلاً لترويض روحه، لذا يصح منه العزم، وهذه مرتبة الجاهل الضال.

**المرتبة الثالثة:** إن معالجة من كان في هذه الدرجة أكثر صعوبة من سابقه إذ أنه يعتقد أن الأخلاق القيمة هي الأخلاق الحسنة، وأنها الواحية المستحسنة وعليها نشأ وفيها تربي، ومن هنا تكون صعوبة علاجه وهي مرتبة الضال - الجاهل - الفاسق.

**المرتبة الرابعة:** يعتقد صاحبها أن كثرة الشر هي الفضيلة وأن هذا الحال يرفع من قدره، ويعلي من مكانته في نظر الناس، وهي أكثر صعوبة من السابقات، وهي مرتبة الضال الجاهل الفاسق الشرير.

إن للصفات الإلهية دعاوى سبعة متمثلة في أنه سبحانه قادر عالم حي مديد سميع بصير متكلم، ويتجزأ عن هذه الصفات أمران أساسيان، فالأول يخص آحاد الصفات، والثاني ما تشترك فيه جميع الصفات.

## الصِّفة الأولى: القدرة.

من الدلائل القاطعة على قدرة محدث العالم، هي أن العالم يقوم بفعل محكم، مرتب متقن -منظوم- مشتمل على العجائب بعددها وأنواعها، فهذا دال على قدرة القياس، وعليه كل فعل محكم يصدر بالضرورة من فاعل قادر<sup>1</sup>.

ونعني بالقدرة هنا هي الصفة، والتي لديها أحكام متعلقة بجميع المقدورات. والمقصود بالممكنات لا نهاية لها والمقصود بهذه الأخيرة أن خلق الحوادث بعد الحوادث لا ينتهي إلى حد يستحيل في العقل حدوث حادث بعده، فالإمكان مستمر أبدا والقدرة واسعة لجميع ذلك.

وبرهان هذه الدعوى وهي عموما تعلق القدرة أنه ظهر أن صانع كل العالم واحد.

على كل حال كان هناك رأي في هذا الشأن نقد من قبل المجبرة والمعتزلة من الحركة، وهذا لأن في الانفصال قد تجرّب الناس في هذا أحزابا، فذبت المجبرة إنكار قدرة العبد، فخرجت من هذا إلى إنكار ضرورة التفرقة بين حركة الرعدة والحركة الاختيارية، ولزمها أيضا استحالة تكاليف الشرع، وذهبت المعتزلة إلى إنكار تعلق قدرة الله تعالى بأفعال العباد من الحيوانات والملائكة والجن والإنس والشياطين، وزعمت أن جميع ما يصدر منها من خلق العباد واختراعهم، لا قدرة لله تعالى عليها بنغي والإيجاء<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> علي بوملحم، الاقتصاد في الاعتقاد لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي (ت505هـ-1111م)، دار ومكتبة الهلال، ط1، 1993، ص110.

<sup>2</sup> علي بوملحم، الاقتصاد في الاعتقاد لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي (ت505هـ-1111م)، ص115.

## الصفة الثانية: العلم.

من البديهي بأن الله يعلم غيره لأنه هو صانع الكون، والصانع يعلم ما صنعه، ويعلم نفسه لأن من علم غيره يعلم بالضرورة.

فالله عالم بجميع المعلومات الموجودات والمعدودات، فالموجودات تنقسم إلى قديم وحديث، فإن من رأى خطوطاً منظومة تصدر على الاتساق من كاتب ثم الاستراب في كونه عالماً بصنعه الكتابة. كان سفيهاً في استرابته، فإذا قد ثبت أنه عالم بذاته وبغيره<sup>1</sup>.

## الصفة الثالثة: الحياة.

إن الله تعالى حي لا يموت في قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾<sup>2</sup>، وهو معلوم بالضرورة، ولم ينكره أحد ممن اعترف بكونه تعالى عالماً قادراً، فكون العالم القادر حياً ضرورياً، إذ لا يعنى بالحي إلا ما يشعر بنفسه ويعلم ذاته وبغيره والعالم بجميع المعلومات والقادر على جميع المقدورات كيف لا يكون حياً، وهذا واضح. والنظر في صفة الحياة لا يطول.

## الصفة الرابعة: الإدارة.

المقصود بالإدارة أن الله تعالى مرید لأفعاله، والدليل أن الفعل الصادر منه مختص بضروب من الجواز لا يتميز بعضها من البعض إلا بمرجع ولا تكفي ذاته لترجيح لأن نسب الذات إلى الضدين واحدة، فالإدارة هي التي تخصص بين عدة إمكانات لا تتميز بينها وليس العلم هو الذي يخصص.

<sup>1</sup> علي بوملحم، ص 128.

<sup>2</sup> سورة الفرقان، الآية 58.

فإن اقتضت صفة الإرادة وقوع العلم في وقت معين تعلق هذا الأخير بتعين وجوده في ذلك الوقت علة. تعلق الإرادة به فتكون الإرادة لتعيين علة. ويكون العلم متعلقا به تابعا له غير مؤثر فيه<sup>1</sup>.

فافتراضنا بجواز كفاية العلم عن الإدارة لاكتفى به عن القدرة. بل كان ذلك يكفي في وجود أفعالنا حتى لا نحتاج إلى الإرادة، إذ يترجع أحد الجانبين بتعلق علم الله تعالى به وكل ذلك محال.

يرى الفلاسفة أن العالم قديم بإرادة قديمة من الله تعالى ذلك ربما يقول قائل أن العالم وُجِدَ لذات الله سبحانه وتعالى وأنه ليس للذات صفة زائدة البتة، ولما كانت الذات قديمة كان العالم قديما وكانت نسبية العالم إليه كنسبة المعلول إلى العلة، ونسبية النور إلى الشمس، والظل إلى الشخص.

وترى المعتزلة أن العالم حادث بإرادة حادثه في الله، فقائل يقول أن العالم حادث ولكن حدث في الوقت الذي حدث فيه لا قبله، ولا بعده، لإرادة حادثه حدثت له، لا في محل، فاقترضت حدوث العالم<sup>2</sup>.

### الصفتين الخامسة والسادسة: السمع والبصر.

يدل كل من الشرع والعقل أن سميع بصير بمخلوقاته، لأنه هو صانع العالم أما الشرع فيدل عليه النص القرآني فيما فيه كفاية من آيات كقوله: ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وكقول سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾<sup>3</sup>. ونعلم أن الدليل غير منقلب عليه في معبوده وأنه كان يعبد سميعا بصيرا ولا يشاركه في الإلزام.

ندعي أن الله أكمل من المخلوق فالعقل يملي علينا أن نقول معلوم ذلك ومعلوم أن البصير أكمل ممن لا يبصر، والسميع أكمل مما لا يسمع، فيستحيل أن يثبت وصف الكمال للمخلوق ولانثته للخالق.

<sup>1</sup> علي بوملحم، الاقتصاد في الاعتقاد، ص 129.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 131.

<sup>3</sup> سورة مريم، الآية 42.

وهذان أصلان يوجبان الإقرار بصحة دعوانا ففي أيهما النزاع<sup>1</sup>.

وهذه حجة الغزالي في أن الله سميع بصير تستند إلى البداهة التي طالما عول عليها القديس أوغسطين من قبل ديكرت من بعد.

### الصفة السابعة: الكلام:

الذي صنع العالم متكلم وهذا اتفاق المسلمون، واعلم أن من أراد إثبات الكلام بأن العقل يقضي بجواز كون الخلق مردين تحت الأمر والنهي وكل صفة جائزة في المخلوقات تستند إلى صفة واجبة في الخالق فهو شطط. إن من أراد إثبات الكلام بالإجماع يستند إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أنكر كون البارئ متكلماً فبالضرورة ينكر تصور الرسول. إذ معنى الرسول صلى الله عليه وسلم المبلغ الرسول المرسل، فإن لم يكن الكلام متصوراً في حق من ادعى أنه مرسل كيف يتصور الرسول؟ ومن قال أنا رسول الأرض أو رسول الجبل إليكم فلا يصغى إليه لاعتقادنا استحالة الكلام والرسالة من الجبل والأرض والله المثل الأعلى.

إن الكلام كمال والله كامل، حيث أن للكلام للحي أما أن يقال هو كمال أو يقال هو نقص أو يقال هو نقصه ولا نقص ولا هو كمال. وباطل أن يقال هو نقص وكل كمال وجد للمخلوق فهو واجب الوجود للخالق بالطريقة الأولى<sup>2</sup>.

فهو يحدّد الفعل المباشر بموجباته الذاتية، كونه فعلاً إرادياً يجيء عن قصد إرادى للإنسان وبعزمه على تنفيذه... وهو ما أشار إليه أبو الهذيل العلاف من أنه من فعل الذاتى وهو الحركة الذاتية في التغيير اللاحق للنظام،

<sup>1</sup> علي بوملحم، الاقتصاد في الاعتقاد، ص 137.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 141.

أما الفعل الآخر المتولد الذي ينشأ دونما إرادة وبغير قصد إليه، ولا قدرة للإنسان في تركه أو اجتنابه، فهو فعل ثان، قد يعزه لقوانين الطبيعة، وقد يعزى لله. بمعنى آخر الفعل المتولد يتخطى حدود المسؤولية الإنسانية.

وإذا كان مثل هذا التغيير يتسم بقدر كبير من الموضوعية والتنظيم المنهجي، فإنه عورض من قبل القاضي عبد الجبار الذي يرى في إضافة الفعل المباشر للإنسان باعتباره واقعا بحسب أحواله ودواعيه وإراداته يتحقق أيضا في الأفعال المتولدة، فمثلا: نحن نجد الكلام والكتابة والآلام وغيرها تقع إذا نفينا كون الأفعال المتولدة أفعالا لنا، فالواجب يقضي أن لا نجعل الإرادة فعلنا دون المراد<sup>1</sup>.

وإذا كان القاضي قد حاول بتفسيره هذا توسيع دائرة الحرية الإنسانية فإنه في فشل هذا الحكم قطعيا فهو يأخذ بقاعدة الكل أو اللاشيء.

فأما أن تكون الإرادة اطراد، السبب والمسبب المباشر والمتولد جميعها أفعالنا، أولا شيء البتة، وترتب على هذا الموقف أن نقضي القاضي آراء عموم رفاقه النظام والغلاف والإسكاني، وكل القائلين بأن الفعل المتولد لله، أو أن الإرادة توجيهه بقوله "أنه يمكن بناء على هذه الأقوال أن يوجد المراد بوجود الإرادة حتى في الحالات التي يستحيل فيها حدوث ذلك.

#### 4\_ اليقين عند الغزالي:

يقوم اليقين عند الغزالي على الأساس التالي ألا وهو الصراع بين المحسوسات والمعقولات، كل من المحسوسات والمعقولات لم تجسد في ذات الغزالي:

<sup>1</sup> عبد الستار عز الدين الراوي، فلسفة العقل رؤية نقدية للنظرية الاعتزالية، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، 1986، ص75.

"مما لا شك فيه أن هذه المحاورة الصراعية التي تخيلها الغزالي بين المحسوسات والمعقوليات ليست سوى وهم وتأملات غير واقعية لأن المحسوسات والعقليات لم تجسد في ذات الغزالي وقد خرج الغزالي كما يقول الدكتور جميل صليبا والدكتور عياد من دوامة الشك فالأدلة العقلية لم ترجع اليقين إلى قلبه لأن الدليل لا يكون إلا من علوم غير المسلم بها"<sup>1</sup>.

"يبدو أنه لم يجد غير أفكار ثلاث هي أن العقل هو المنتصر في المعركة الضارية مع كل الظواهر فكان لا بدّ من التوفيق بينه وبين الدين كما فعل المعتزلة أو تفوقه حتى على تلك المدارك التي تهبط مع الوحي عند الفلاسفة أو يتحقق عن طريق التأويل بالتعليم من الإمام المعصوم (المستور) عند الباطنية ومع كل ذلك فلم يفهم الغزالي المعتزلة كما يجب، فقد ساوى بينهم وبين القدرية في حالة العجب التي تصدر عن العقل"<sup>2</sup>.

إذن امتد القلق إلى ذهن الغزالي وهو يشهد الصراع في العقائد، قبل تصوفه وكانت عنايته موجهة تبعاً لمنهجها إلى المتكلمين والفلاسفة ومن ثم الباطنية،

### لمحات وأقباس من الأخلاق الغزالية:

إن الأخلاق الغزالية أخلاق روحية دينية أساسها القلب والنفس أي أنها اختلاف صوفية بعيدة عن الشهوات والأهواء والتخلص من ملذات الدنيا. في سنوات، بل على إثر عودته إلى بغداد (حوالي سنة) وحيث قطع كل صلته مع العالم الخارجي الذي غلبت عليه الصورة التي تبعده عن الآخرة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مصطفى غالب الغزالي، في سبيل الموسوعة الفلسفية، منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، 1990، ص49.

<sup>2</sup> عبد الأمير الأعسم، الفيلسوف الغزالي، ص42.

<sup>3</sup> عبد الأمير الأعسم، الفيلسوف الغزالي، ص41.

"كانت الأخلاق الغزلية تقوم على الجوهر والضمير الذي يطلق عليه فيها بأسماء مختلفة وعبارات متنوعة كالقلب والنفس والمروءة فإنها تقوم على الحرية وفي مقدمتها التحرر من الشهوات والأهواء وهذه الحرية الخلقية ترجع إلى الملكات الباطنية لتعلقها بالنية والإرادة ولا يكون القهر قهرا دون معاناة ووعي وتقدير"<sup>1</sup>.

"والأخلاق الغزالية ليست سلوكا تقليديا فرضته علينا تقاليد المجتمع وآدابه وألقيناه تلقينا بأساليب التربية لأن عنصر الإرادة والعلم والحرية والنية من العناصر الأساسية في تصرفاتنا الخلقية وهي العلة في صفاء هذه الأخلاق وسموها صفاء يتجلى في كون الأخلاق الغزالية تتوخى الصدق والإخلاص"<sup>2</sup>.

لقد أسس الغزالي أخلاق وفقا للمرجعية الدينية المعتدلة ولهذا لُقّب بحجة الإسلام ولقد تحافت على الفلاسفة في كتابه تحافت الفلاسفة كفرهم.

### الغزالي في "الإحياء" ونقده للصوفية:

بعد مرض الغزالي (فترة الشك) بدأ يتبع الطريقة الصوفية أي أنه أصبح زاهد في حياته ولم يتم هذا إلا بعد عشر (10) سنوات.

"تصوف الغزالي بعد فترة الشك (فترة المرض) فأصابه تحول عنيف في مجرى حياته، فإذا به يزهّد بالحياة كلها وينغمس في حالات من الذهول الروحي في استقصاء نهايات الأفكار على الطريقة الصوفية لكن إعلان الغزالي حقيقة عن تصوفه لم يكن عندما ترك بغداد سنة ( هـ ) ليبدأ رحلته الطويلة التي دامت زهاء عشر (10)

<sup>1</sup> صلاح الدين عبد اللطيف الناهي، الخوادم من آراء حجة الإسلام للغزالي في الفلسفة والتشريع والتصوف والأخلاق والمعرفة السياسية للنظرية، ص112.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص116.

"وفي الإحياء نرى الغزالي غير الذي تعودناه في سائر كتبه قبل رحلته فقد بدأ فيه نهجه الصوفي بشكل واضح معلنا عن مشربه الجديد مع موسوعية لكل علوم الدين في القوالب إن لم نبالغ، صوفية تماما، كذلك نلاحظ عليه مجاهدة عنيفة للتخلص من الآثار المشائية في تفكيره غير أن الكثير من ترسبات فلسفة الأفلاطونية المحدثة دخلت مادة الإحياء"<sup>1</sup>.

كل هذه الأمور السابقة أدت بالغزالي إلى التصوف تاركا ملذات الحياة منتهيا زاهدا وذلك بعد فترة الشك أي المرض.

<sup>1</sup> عبد الامير الاعسم، الفيلسوف الغزالي، ص54.

## المبحث الثاني:

## 1\_ المعرفة والمنطق عند الغزالي:

إن الغزالي شكّ في المبادئ العقلية ففي البداية كانت غير قابلة للشك فحسبه العقل يكذب الإحساس والإحساس يكذب العقل.

"مهّد الغزالي لكتابه المعارف العقلية بالإشارة إلى الغاية من تصنيفه فقال: معرفة حقيقة النطق والتمييز بين القول والكلام وذلك لأنه الله إنما أبداع الإنسان ليكون نموذجاً من العالم الكبير وليبهر عن العالم الأصغر واستشرق ما تميز به الإنسان عن باقي الحقائق إنما هو النطق وتقوم آلية الإدراك عند الغزالي أن إدراك عالم الأشياء لا يتأثر إلا من خلال أربع مراحل متدرجة تبدأ بالحس وتنتهي بالعقل مارة بالخيال والوهم"<sup>1</sup>.

"فالمرحلة الأولى فهي التي يتحول فيها الشيء المادي إلى صورة حسية فيتجرد بذلك نوعاً من التجريد، أما المرحلة الثانية من مراحل التجربة كما يراها الغزالي فهي تنطلق من الخيال الذي يتلف المثل الحسي ويجرده بعد تجرده الأول ويجوله إلى مثال خيالي، أما المرحلة الثالثة هي الوهم وبواسطته يتقدم خطوة جديدة في التجريد فيصبح تجريده أكمل من السابق"<sup>2</sup>.

موضوع المعرفة الصوفية عنده هو يتعلق بذات الله تعالى وصفاته وأفعاله وهو أسس موضوع لأسمى المعرفة.

بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى:

لقد بيّن أبي حامد الغزالي أصل وحقيقة المحبة وكيف تحقق محبة العبد لله تعالى وذلك وفق الخطوات التالية:

<sup>1</sup> مصطفى غالب، الغزالي في سبيل الموسوعة الفلسفية، ص70.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص71.

"فأول ما ينبغي أن يتحقق أنه لا يتصور محبة إلا بعد معرفة وإدراك إذ لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جماد بل هو من خاصية الحي المدرك، ثم المدركات في انقسامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المدرك ويلائمه ويلذه وإلى ما ينافيه وينافره ويؤلمه وإلى ما لا يؤثر فيه بإيلاام وإلذاذ فكل ما في إدراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المدرك وما يخلو عن استعقاب ألم ولذة لا يوصف بكونه محبوبا ولا مكروما"<sup>1</sup>.

"والثاني أن الحب لما كان تابعا للإدراك والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انقسام المدركات والحواس فلكل حاسة إدراك لنوع من المدركات ولكل واحدة منها لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع السليم، فلذة العين في الإبصار وإدراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستلذة"<sup>2</sup>.

تتحقق محبة العبد لله تعالى حسب الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين" بالإدراك والمعرفة فهما الخاصيتان الأساسيتان في هذه المحبة.

جعل الغزالي القلب هو أداة المعرفة اليقينية وهي المعرفة التي خلق القلب لها واختص بها من دون الجوارح. "معيار الحقيقة عند المعرفة تتشكل من إدراكات محصلة فمعنى ذلك أنها ستكون عرضة للخطأ والضلال، إذ ما الذي يضمن لنا أن الإحساس لم يشوّه الشيء المادي الذي هو صورته له؟ وما الذي يؤكد لنا الخيال لم يحرف الصورة الحسية وهكذا نقول في الوهم والعقل هذا ما دفع الغزالي ليفتّش عن الحقيقة ضمن نطاق العقل"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> الغزالي، إحياء علوم الدين، كتاب المحبة والشوق والإنس والرضا، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1985، ص11.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص12.

<sup>3</sup> مصطفى غالب، الغزالي في سبيل الموسوعة الفلسفية، ص73.

"وبعد أن أظهر الغزالي شكّه بالمعقولات أوجد دعامة ثالثة للمعرفة سمّاها الإشراف الذي يعني فيه ذلك النور الذي قذفه الله في صدره والذي زعم أنه مفتاح المعارف"<sup>1</sup>.

يعتبر الغزالي من أكبر الفلاسفة المدافعي عن العقيدة الإسلامية وحماتها من شطط وغلو الفلاسفة وقد سعى طوال حياته إلى تحقيق اليقين.

## 2\_ تربية الخلق:

يرى الغزالي أن تربية الخلق عند الناس يكون حسب فطرة كل فرد ويُرى الخلق بحيث أنه لا يحتاج إلى تعليم ولا إلى تأديب.

"ليس للغزالي رأي محدود في الفطرة البشرية فهو تارة يراها خالصة تصلح لكل شيء وتقبل كل صورة وتارة يراها أميل إلى الخير منها إلى الشر يدل ذلك في قوله: وإذا كانت النفس بالعبادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى القبائح فكيف لا تستلذ الحق لوردت إليه والتزمت المواظبة عليه؟ بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع يضاهي الميل إلى أكل الطين فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة"<sup>2</sup>.

"اعلم أن أسعد الخلق حالاً في الآخرة أقواهم حبا لله تعالى فإن الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقاءه وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه ! وتمكن من دوام من مشاهدته أبدا الأياد من غير منغص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع ! إلا أن هذا النعيم على قدر قوة الحب فكلما إذ ازدادت المحبة ازدادت اللذة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مصطفى غالب. الغزالي في سبيل الموسوعة الفلسفية، ص74.

<sup>2</sup> زكي مبارك. الأخلاق عند الغزالي، ص62.

<sup>3</sup> الغزالي. إحياء علوم الدين كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، ص49.

يعدّ كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي من الأكثر الكتب المتحدثة عن مسألة الأخلاق

والتصوف ففيه يطرح قضايا دينية وأخلاقية.

كانت التي البيئة التي عاش فيها "الغزالي" آنذاك تتأرجح بالصراعات نحو السلطنة، وفي زمن فيه انحرافات عقائدية، وغياب آليات وطرائق معرفية وعلمية يحتكم إليها الناس عند الحاجة إليها، مما أدى بهم إلى الهلاك، هنا يتدخل حجة الإسلام "أبو حامد الغزالي" الذي رأى نفسه مسؤول بالدرجة الأولى باعتباره مسؤول فيلسوف، وعلى دراية بأمور الدين، مما جعله بعيد النظر في المنظومتين المعرفية والدينية المنتشرتين في زمانه، إلى أن وصل به الحال إلى وضع خطط دينية تسيير على درب صحيح وذلك بهدف القضاء على ما تبنته بعض الفرق من اعتقادات خاطئة، وعلى شطحات بعض العلماء، لتبني مشروع أساسه العقل والدين، ومن هذا جاءت مشروعيته تبني المنطق منهجاً سديداً لوقاية العقل من الانزلاق، وتوضيح مدارك الغلط، ولتلخيص الشريعة من تلك الدعاوي، >> وضمها إلى منظومة الحقائق الموثوق بها، ومن ثم ليعمل على تفسيرها على أساس منه<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> الزعبي. أنور. مسألة المعرفة والبحث عند الغزالي. دار الفكر. ص 190.

المبحث الأول: موقف الغزالي من قضية المنطق والفقه ومدى تأثيره بأراء الجويني | .

— لقد تأثر "أبي حامد الغزالي" بالمنطق الشكلي (الصوري) لصاحبه "أرسطو" وقد قال الشهيرة >> من لا يحيط بالمنطق فلا ثقة بعلومه أصلاً << .

— >> يمكن القول "الإمام الجويني" كان أول أشعري مهد الطريق "للإمام أبي حامد الغزالي" لمزج الفقه بالمنطق، غير أن الغزالي يعتبر المازج الحقيقي للمنطق الأرسطي بالفقه لا بما وضع من كتب منطقية سهلة العبارة بل تلك المقدمة المنطقية التي وضعها في أوائل كتابه "المستصفي من علم الأصول"، حيث قال: >> من لا يحيط بالمنطق فلا ثقة بعلومه.

أصلاً << <sup>1</sup>.

>> على هذا الأساس اعتبر أن استخدام منطق "أرسطو" يعد شرطاً من شروط الإجتهد وفرض كفية على المسلمين وإلى هذا يشير "ابن تيممة" بقوله: >> لم يكن أحد من أنظار المسلمين يلتفت إلى طريق المنطقيين بل الأشعرية والمعتزلة والكرمية والشيعة وسائر الطوائف كانوا يعيونها ويثبتون فسادها وأول من خلط المنطق بأصول المسلمين (يعني علم أصول الفقه)، "أبو حامد الغزالي" فتكلم فيها علماء المسلمين مما يطول ذكره << <sup>2</sup>.

— أصبح إمام الفلاسفة يدافع بشدة عن المنطق التقليدي (الأرسطي) وهذا راجع إلى عدة أسباب ودوافع لأنه كان من أكبر مفكري الأشاعرة إيماننا بفائدة المنطق في مجال الدراسات الفقهية.

— الدوافع التي جعلت "أبي حامد الغزالي" يدافع عن المنطق الأرسطي:

— لقد حظي المنطق التصورات والحدود بقبول لدى الكثير من الفلاسفة والفرق الكلامية الإسلامية وبخاصة الأشاعرة واستخدموه كمنهج للتفكير في بعض المشكلات والمسائل الدينية.

<sup>1</sup> محمود محمد علي محمد. العلاقة بين المنطق وعلم أصول الفقه: قراءة في الفكر الأشعري، ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ص157  
<sup>2</sup> المرجع نفسه ص 157.

\_\_ >> أحدهما أن "أبي حامد الغزالي" كان من أكبر مفكري الأشاعرة إيماناً بفائدة المنطق في مجال الدراسات الفقهية كما كان أكثرهم توفيقاً في تطبيق مبادئ القياس المنطقي العامة على أمور الفقه فقد أدرك "الغزالي" أن قبول القياس الفقهي يتوقف على ما فيه من معقولية وأن الوسيلة إلى ذلك هو المنطق بصورة وقواعد<sup>1</sup>

\_\_ >> والثاني هو أن الدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد المخالفين والمهاجمين لها من أصحاب الملك والنحل أوفد الفرق الإسلامية التي رأى الأشاعرة أنها في بعض أصولها مبادئها قد جنحت عن الدين فكراً وسلوكاً كان من أسباب إصطناع المنطق لدى الأشاعرة بإعتباره الأداة الفعالة في التنفيذ والنقد والإثبات العقلي وبذلك يمكن أن تكون تدعيماً قوياً لطريقة المتكلمين الجدلية <<<sup>2</sup>.

\_\_ إن حجة الإسلام يعتبر المنطق الأرسطي له مكانة بارزة في تاريخ الفكر الإنساني عامة والفكر العربي الإسلامي خاصة.

\_\_ في البداية أطلق وجعل جمهور الأشاعرة المنطق جزءاً من الكلام وأطلقوا على هذا الجانب من كتاباتهم المتعلقة بالمنطق اسم كتاب السطر تارة وكتاب "الجدل" أو "مدارك العقول" تارة أخرى .

>> ألف "الغزالي" عدة كتب بسط فيها مباحث المنطق وبيّن فائدته ونجاعته مثل "معيان العلم"، "محك النظر"، "القسطاس المستقيم" إلى جانب مقدمات بعض كتبه الأخرى وضعها فيه كمقدمة مقاعد الفلاسفة والمستصفي من علم الأصول ثم خطا "أبو حامد الغزالي" خطوة أخرى فأصدر ما يشبه الفنون بوجوب أن يتعلم المنطق كل باحث في العلوم الإسلامية كي تكون علومه موثوق بها ... إلخ بل هي مقدمة العلوم كلها ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلاً <<<sup>3</sup> .

>> فدرجة الغزالي حملته الإقناعية بالمنطق إلى الفقه خاصة في سبيل مزجه بالمنطق، وجعل استنباطاته واستخراجاته تسير عليه فهو إلى جانب إستصدار فتواه السالفة في "مقدمة المستصفي" وهو كتاب في أصول

<sup>1</sup> محمود محمد علي محمد. العلاقة بين المنطق وعلم أصول الفقه، ص157.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص158.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص158-159.

الفقه مما يوحي بأن محتوى الفتوى موجهة أساساً إلى الناظرين في الفقه إلى جانب ذلك يغتم كل فرصة ليخصص الفقه في حديثه عن جدوى المنطق كمنهج للبحث في العلوم << 1.

— هناك عدة كتب تحدثت عن المنطق الأرسطي عند "أبي حامد الغزالي" وقد وجه إهتماماته الأولى إلى المنطق السوري .

— إن المنطق الأرسطي مبني على قواعد وعدة أسس منها الإستدلال والقياس والحد والتصور والحكم و"الغزالي" جعل هذا المنطق طريقاً إلى المعرفة الظنية.

— >> يؤكد "الغزالي" أكثر على يقينية المنطق كطريق للإستدلال نراه يؤكد في كتابه " معيار العلم" على استخدام للإستقراء المنطقي بإعتباره طريق من الطرق التي توصل إلى النظر المنطقي بإعتباره أيضاً طريقاً من الطرق التي توصل إلى المعرفة الظنية وفي مطلوبه في الفقه وهو يعرفه من الناحية المنطقية فيقول: هو أن يتصفح جزئيات كثيرة داخله تحت معنى كل حتى إذا وجدت حكم في ترك الجزئيات حكمت على ذلك الكل به << 2 .

— >> وتبرر محاولة "الغزالي" الحقيقية لمزج المنطق بالفقه في كتابه " محك النظر" حيث يشرح فيه قياس الدلالة " وهو قياس الإن عند المنطقيين وقياس العلة" وهو قياس اللم عند المنطقيين ويدعمهما بأمثلة فقهية يقول "الغزالي": أما قياس الدلالة فهو أن يكون الأمر مكرر في المقدمتين معلولاً ومسبباً فإن العلة والمعلول يتلازمان وإن شئت قلت الموجب والموجب فإن استدلت بالعلة على المعلول فقياسك قياس علة وإن استدلت بالمعلول على العلة فهو قياس دلالة << 3 .

— لقد مزج الغزالي المنطق بالفقه في كتابه " محك النظر" وهو هدفه الأول إلى الحقيقة والدفاع عن العقيدة الإسلامية.

1 محمود محمد علي محمد. العلاقة بين المنطق وعلم أصول الفقه، ص159

2 المرجع نفسه، ص161

3 المرجع نفسه، ص162

الطرق التي عاش بها الأشاعرة موضوعات المنطق اليوناني:

— استخدم الأشاعرة طرق عديدة لمعالجة موضوعات المنطق اليوناني ولعل هذا ماظهر في كتابه "الاقتصاد في الاعتقاد".

— >> ... ولعل هذه الحاجة الماسة إلى المنطق هي التي دفعت "أبو حامد الغزالي" إلى ربط المنطق بالدراسات الكلامية ومن ظاهر ربطه المنطق بالدراسات الكلامية كتابه "الاقتصاد في الاعتقاد" والفكرة التي حولها ذا الكتاب هي وجوب استخدامنا لعقولنا عند فهمنا لنصوص الشرع وذلك بأن نلمس بين الطرفين ( أعني المنطق والفقه) طريقا تصان فيه أحكام الدين وأحكام العقل معا فلا يصح من جهة أمن نحمد النصوص جمودا يجعلنا في تناقض مع منطق العقل << <sup>1</sup>.

— >> يتوجه " أبو حامد الغزالي" غلى المنطق الصوري القائم على التصورات والتصديقات، اعني المنطق الذي يكون مستقلا عن كل مضمون للمتكلم والفقير والمحدث والناظر في الآراء والديانات والأهواء والمقالات لان مهمته الوقوف على كافة الحقائق وتميزها من الأباطيل ومن أجل ذلك اتجه معظم مكلمي وفقهاء الأشاعرة بعد "الغزالي" إلى إدخال بعض التعديلات على موضوع المنطق وحذف بعض كتب الأورجانون العربي، حتى يصلوا غلى المعنى الصوري الخالص حيث تكون غايته متجهة نحو دراسة صور الفكر << <sup>2</sup>.

— المنطق هو آلة العلم حسب "أرسطو" وموضوعه الحقيقي هو العلم نفسه أو صورة العلم ويعني بذلك أن آلة أو أورجانون يفيد في تحصيل العلوم الأخرى، أما "أبو حامد الغزالي" فيعرّف المنطق >> بأنه القانون الذي يميّز صحيح الحد والقياس عن غيره فيتميّز العلم اليقيني عمّا ليس يقينيا وكأنّه الميزان أو المعيار كلّه <<.

<sup>1</sup> محمود محمد علي محمد. العلاقة بين المنطق و علم أصول الفقه، ص81.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص83

المبحث الثاني: أسباب تبني الغزالي للمنطق.

وللغزالي أدلة واضحة لتبنيّه للمنطق نذكر منها:

أ: هناك من ادّعى معايير تبيان الحق، ودافعوا عن مواقفهم هذه بحاكم الهوى، أو بدافع التمدّهب، ونصرة تعاليمه أو الخلفيّة الإيديولوجيّة، هذا ما نكره الغزالي لأنه يراه بعيد عن العقلانية والموضوعية في طلب العلم اليقيني، بالإضافة إلى أنه ظهرت في عصره فوضى المصطلحات التي عمت في المجتمع. فلجأ إلى اختراع ألفاظ تسهل عملية الفهم فهو يقول: >> فإني اخترعت من تلقاء نفسي أكثرها لأن المصطلحات في هذا الفن ثلاثة. المتكلمين والفقهاء والمنطقيين. ولا أؤثر أن أتبع واحدا منهم فيقصر فهمك عليه، ولا تفهم إصلاح الفريقيين الآخرين، ولكن استعملت من الألفاظ فما تصادفه في سائر الكتب يمكنك أن ترده إليها وتطلع على مرادهم منها<<<sup>1</sup>.

هذا هو المنهج السديد الذي اتبعه الغزالي الذي يتمثل في منظومة المنطق الذي يحتوي على قواعد صارمة لا تحابي مذهبا ولا تعادي فرقة.

ب- لما ادعى في عصر الغزالي. كل من الفرق الكلامية أنهم أهل نظر و رأي، وزعم الفلاسفة أنهم أهل منطق وبرهان، وقول الباطنية أنهم أهل باطن وتأويل، هؤلاء البارزين في الميدان الثقافي، جعلوا الغزالي يعيد النظر في افتراءاتهم فوجدها مشتركة في عدم خدمة المنطق، ذلك لأنهم جاءوا بمواقف مبنية على مقدمات هي مسلمات أخذوها من خصومه دون مراقبة ودون التدقيق في النظر فيها، لكنهم أسسوا عليها أقيستهم مما جعلها فاسدة متناقضة >> ولو كانت علومهم الإلهية متقنة البراهين، نقية عن التخمين، الحسابية، لما اختلفوا فيها كما لم يختلفوا في الحسابية <<<sup>1</sup>. يبرهن كل هذا ما ظهر في كتابات الغزالي، فالبرغم ما تلقته الفلسفة من ضربات قاسية آنذاك، لكنه زاد إقباله على المنطق الأرسطي، وأصبح رائجا في مصنفاتهم بألفاظ معبأة باللغة والدين كما نراد تعزيره للعقل.

<sup>1</sup> الغزالي أبو حامد. تهافت الفلاسفة، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا- بيروت، د- ط 2003، ص44.

د\_ إن المرجعية الأصولية المناهضة للمنطق الأرسطي التي كانت كطريقة يسير عليها المتكلمين جعلت الغزالي يتهم عليها. وذلك ليؤكد مباحثه المنطقية خاصة فيما يتعلق بمبحث الحد والاستدلال بالميتافيزيقا اليونانية، ونحن نعلم أن علماء الدين لديهم موقف سلبي من الميتافيزيقا اليونانية، فأخذ ومقدمات خاصة بهم وجعلوا ما سبقهم من أفكار عبارة من بديهيات، هذا ما جعل الغزالي يهاجمهم من لدنّه، واعترف بالمنطق الأرسطي لأنه يحمل قضايا واضحة بذاتها تفرض نفسها على العقول فتتخذها العقول منطلقاً يقينية، هذا ما دفع بالغزالي بالثوران على المتكلمين، وتبني المنطق واعتبر معرفته >> شرطاً من شروط الاجتهاد، وفرض كفاية على المسلمين، وأنه لا يمكن للمسلمين أن يتخلصوا من الخطأ في الاستدلال في شتى علومهم إلا إذا تبنا منهج البحث الأرسطي طاليسي.<sup>1</sup>

كانت هناك استجابة إيجابية من قبل المسلمين للمنطق الأرسطي الذي ترجمه الغزالي لهم، وأصبحوا يهتمون به بعد ما كانت نظرهم إليه نظرة تشاؤم واحتقار.

\_ من خلال هذه الأدلة التي اتخذها الغزالي ضحى وبذل كثيراً من الجهد، لكي يصبح المنطق مفتاح العلوم كلها، فوضع مقدمة لا تخص علماء معين، وإنما هو مقدمة سائر العلوم إذ يقول فيها: >> وليست هذه المقدمة من حملة علم الأصول، ولا من مقدماته الخاصة به بل هي مقدمة العلوم كلها، ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلاً >><sup>2</sup>. فالغزالي يقصد المقدمة التي هي تحصيل حاصل لمصنفاته الأول - منطق العلوم - حتى يكون المنطق مرجعاً يؤول إليه السلاحيقة حتى يستخلصون من تهديدات السلاحيقة، بالإضافة إلى المحافظة على الفقه وأصوله من التحريف.

<sup>1</sup> فضل الله، مهدي. العقل والشريعة، دار الطليعة، بيروت (لبنان) ط2، 2002، ص95.  
<sup>2</sup> الغزالي أبو حامد. المستقصى من علم الأصول - جز 1- تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة، جدة ( المملكة العربية السعودية) د- (ط. ت)، ص30.

\_\_ لما نتكلم عن المنطق يتوجب علينا الرجوع إلى أنه هناك امتزاج بين ثقافتين متبادلتين، ثقافة يونانية وثنية، وثقافة إسلامية موحدة. ويقابل ذلك على التوالي الأسس المنطقية وعلم أصول الفقه، فهناك نقاط التقاء بينهما مع العلم أن المنطق الأرسطي نسبة إلى واضعه أرسطو طاليس. فهو آلة تتحكم في كل العلوم لاسيما العلوم الإسلامية فهو >> علم بقوانين تفيد معرفة طرق الانتقال من المعلومات إلى المجهولات وشرائطها. بحيث لا يعرض الغرض في الفكر <<<sup>1</sup>.

وهكذا يظهر أن المنطق من العلوم الآلية. فهو يعصم الفكر من العَلَط، وكان العرب يعتقدون أن "أرسطو" لم يتدع سوى المنطق، أما باقي العلوم الأخرى فكانوا يعتقدون أن مذهبهم فيها يتفق تماما من أوائل اليونانيين أمثال فيثاغورس وأناثاغورس وسقراط وأفلاطون، لكنوا كانوا مخلصين أكثر لمؤلفات أرسطو المنطقية حيث عكفوا على شرحها والتعليق عليها وتلخيص مضامينها حتى صار المنطق عقيدة تستوجب الخضوع لقواعدها وشروطها في كل بحث علمي، تميزا للفكر الصحيح من الفاسد وأهم من اعتقد بالمنطق كنظام فكري كامل. حجة الإسلام أبي حامد الغزالي (ت 505هـ)، ذلك لأنه سعى في تقريب المنقول المنطقي اليوناني إلى العلوم الإسلامية وتقييد علم الأصول على الصفة الأدق على قواعد منطقية.

<sup>1</sup> النهاوي، محمد علي الفاروقي. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم . جزء 1. تحقق: علي دحروج . مكتبة لبنان ناشرون. بيروت، ط1\_ 1996، ص44.

المبحث الثالث: المنطق عند الغزالي.

كما أنه تناول عدة قضايا منطقية نذكر:

### 1: حدُّ الحدِّ وآلياته المنطقية:

أ\_ الحد في اللغة: يعني الامتناع والتوقف. لكونه يقف بين شيئين فيمنع التلاقي بينهما،

>> ومنه سمي البواب حدًّا. لأنه يمنع من يدخل الدار والحدودُ حدوداً لأنها تمنع العودة إلى المعصية، وإحداد المرأة في عدتها لأنها تمنع من الطيب والزني لتمنعه من الدّاخل من الخروج، والخارج من الدخول<<<sup>1</sup>.

ب- الحد اصطلاحاً: هو >> قول دالٌّ على ماهي الشيء<sup>2</sup> <<. وهذا يعني الدال على ما للشيء وليس لغيره، لأنّ ذات الشيء لا يكون لها حدان وعندئذ تصير الحقيقة جامعة مانعة. جامعة لجميع أفراد المحدود على معناه. ومانعة في دخول ما ليس منه أن يدخل فيه وما هو منه - أي المحدود- أن يخرج منه.

\_ من خلال تعريف الحدين الاصطلاحي واللغوي نستنتج أن هناك تداخل إيجابي فيما بينهما. حيث الحد يميز ذات كل شيء عن الذوات الأخرى بإفادته لنا طبيعية كل واحد منهم، وهنا يظهر لنا أن التعريف لفظ مرادف لفظ التحديد، الذي أصله الحدّ، وهو من الكليات الخمس: الجنس والنوع والفصل...

\_ استوجب كل هذا التطرف إلى الكليات الخمس، وذلك لتسهيل عملية التحديد في البحث الأصولي والفقهية.

1\_ الجنس: هو لفظ كلي ذاتي لا يوجد شيء أعمّ منه و>> يحمل على أشياء مختلفة الذوات والحقائق في جواب: ما هو<<<sup>3</sup> ونعني ب>> مختلفة الذوات والحقائق << أن المقول على كثيرين مختلفين بالحقائق الذاتية الداخلة في حقيقة الشيء، بحيث لا يتأتى لنا فهم المراد دون فهم جنسه.

<sup>1</sup> ابن النجار. شرح الكوكب المنير . مج1 - تحق: محمد الرحيلي؛ نزيه حماد- مكتبة العبيكان. الرياض، (د.ط)، 1993، ص89.

<sup>2</sup> الغزالي. معيار العلم في المنطق. دار الكتب العلمية. بيروت(لبنان)، ط1، 1990، ص263.

<sup>3</sup> الغزالي. معيار العلم في المنطق، ص77.

**2\_ النوع:** هو لفظ كلي ذاتي يظهر على معنيين، فهو من جهة >> يحمل أشياء لا تختلف إلا بالعدد في جواب: ماهو ومن جهة أخرى يحمل عليه الجنس وعلى غيره حملاً ذاتياً أولياً<sup>1</sup><< فيقال على النوع وعلى غيره في جواب ماهو بالشركة. كما يمكن أن يطلق النوع على بعض ماهو جنس ولكن يكون في هذه الحالة نوعاً إضافياً حقيقياً. لأنه نوع بالإضافة إلى جنس فوقه.

**3\_ الفصل:** هو لفظ ذاتي >> يحمل على الشيء في جواب: أي شيء هو في جوهره<<. ذلك لان الفصل يفيد التمييز بين النوع في ذاته والأنواع الأخرى المقاسمة له في الجنس.

**4- الخاصة:** هو لفظ كليّ غرضي يُحمل >> على ما تحت حقيقة واحدة فقط. حملاً غير ذاتي<sup>2</sup><<. فيأتي جواباً على نوع واحد في جواب أي شيء هو. بذكر صفات الشيء العرضية الخارجة عن حقيقة الذاتيّة لكن خاصة به لا تخلو في وقت من الأوقات.

**5\_ العرض العام:** هو كذلك لفظ كلي عرضي يُحمّل على أنواع كثيرة بذكر صفات الشيء الخارجة عن ذاته وغير الخاصة به. فهو الكلي الذي يقال على حقائق مختلفة قولاً عرضياً، والعرض عند >> فرفوربوس<< هو ما يكون ويبطل من غير فساد الموضوع والعرض العام ينقسم إلى قسمين:

أ- **العرض اللازم:** هو ما لا ينفك عن حقيقة الشيء. كاخضرار النبات.

ب- **العرض المفارق:** هو ما يقبل الانفكاك عن حقيقة الشيء: كالركض للحصان .

\_\_ يتضح لنا من خلال ثلاث كليات الأخيرة، أنها تتلاقى في خاصية التمييز بين الأشياء، وهذا التمييز يقع بين ثلاثة صور حسب ما قاله " فرفوربوس " : >> فأما الفصل فيقال عاماً وخاصاً وخاص الخاص<<<sup>3</sup>. وهي:

- عرضية تسمى بالفصل العام وهي عرضية مفارقة.

- خاصية ملازمة غير مفارقة للذات تسمى بالفصل الخاص، لأن الخاصة تميز النوع

<sup>1</sup> الغزالي. معيار العلم في المنطق، ص77.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص78.

<sup>3</sup> الغزالي، محك النظر - تحقق: رفيق العجم، دار الفكر اللبناني. بيروت (لبنان)، ط1، 1994، ص135.

من غيره، من جهة أنه يسهل ارتفاعها في الوهم ويصعب في الوجود.

- وجوهية تسمى بخاص الخاص وهي مقومة لذات الشيء. وهي مطلوبة عند المنطقي

من الفصول العامة والفصول الخاصة. فهي الفصول المحدثه الأنواع، والتي يُراد منها إحداث طبيعية الأمر الذي اتصل بذلك الفصل.

\_ لقد وضع الغزالي أسماء للحد حيث يقول: >> فلنخترع لكل واحد اسماً ولنُسمِّ الأول حدًّا لفظيًّا، إذ السائل ليس يطلب إلاّ شرح اللفظ. ولنُسمِّ الثاني الطالب فيه درك حقيقة الشيء، وهذا الثالث شرطه أن يكون مشتملاً على جميع ذاتيات الشيء <<<sup>1</sup>، وعلى هذا حسب الغزالي يكون لحد على ثلاثة أوجه وهي:

1\_ حد لفظي يراد منه شرح اللفظ، وهو عند السائل أشهر من المسؤول عنه.

2\_ حد رسمي يُذكر فيه أعراض الشيء المعروف.

3\_ حد حقيقي يفيد ماهي الحدود.

\_ إنّ موضوع التحديد مهم جدًّا. كونه خاض فيه جميع المناطقة بالتركيز، حيث أن أهم وسيلة توصل إلى الصواب، ويلعب دوراً كبيراً في بناء العلوم، وقد خذوه المناطقة والأصوليين على رأسهم أبو حامد الغزالي الذي جاء توظيفه للمنطق في إطار شرعي في زمنه آنذاك فعمد إلى المغالطات الفقهية والدينية، على أساس إيضاح مفاهيم الألفاظ حتى تصبح معانيها واضحة في الذهن.

<sup>1</sup> الغزالي. محك النظر، ص 135.

## \_ تركيب المعاني المفردة:

المعاني المفردة إذا وقع لها تركيب نستخرج منها عدة أصناف مثل الاستفهام والالتماس والترجي والخبر، وهذا الأخير الذي هو عبارة عن برهان يرشد إلى العلوم، وهو نوع من القياس المركب من المقدمات التي كل مقدمة منها خبر يسمى قضية.

\_ والخبر هو الذي نحكم عليه بالصدق أو الكذب، فمثلا بنادي القائل: يا عمرو وهو يقصد أنه في البيت وهو ليس كذلك، فإذا قيل له لا تكذب لم يكن ذلك تكديبا في النداء ولكن كان التكذيب في خبر اندرج تحت النداء ضمناً، فإذا نظرنا في هذا الفن في القضية وبيانها بذكر أحكامها فإن للقضية أقسام:

## 1/ القسمة الأولى: القضية باعتبار ذاتها تنقسم إلى جزئين مفردين:

الأول خبر والثاني مخبر عنه مثل قولنا المجاهد مقدام فإن المجاهد مخبر عنه ومقدام خبر، >> وقد جرت العادة عند المنطقين بتسمية الخبر محمولا والمخبر عنه موضوعاً، فَلْتَنْزِلْ على إصلاحهم فلا مشاحنة في الألفاظ <<<sup>1</sup>، ثم إذا قلنا الشكل محمولا على المثلث، فإن كل مثلث هو شكل فلسنا نعني به أن حقيقة المثلث حقيقة الشكل، ولكن معناه أن الشيء الذي يقال له مثلث فهو بعينه يقال له شكل. من هذا فإن للقضية وجوه تتركب من ثلاثة أصناف:

\_ الصنف الأول: العملي، وهو الذي حكم فيه بأن معنى محمول على معنى أو ليس بمحمول عليه مثل قولنا: العلم نافع فالعلم موضوع ونافع محمول يسلب مرة ويثبت مرة أخرى.

\_ الصنف الثاني: الشرطي المتصل، هنا المحمول يرجع إلى نفس الموضوع، ولا يكون شيء مفارقاً له ولا ملازماً تابعا.

<sup>1</sup> الغزالي. معيار العلم في المنطق، ص15.

ـ **الصف الثالث:** ما يسمّى شرطياً منفصلاً، إذ قلنا أن العالم إما قديم أو حديث، فهما قضيتان جميلتان. تجعل إحداهما لازمة الاتصال ولهذا سُمي منفصلاً وهذا المنفصل قدم في جزئين أو ثلاثة أجزاء كقولنا هذا العدد مثل هذا العدد أو أقل منه أو أكثر منه ثم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

■ **الأول:** >> ما يمنع الجمع والخلو جميعاً مثل قول: الرجل صادقاً أو كاذب فإنه يُمنع الجمع بين الصدق والكذب والخلو من أحدهما. حيث يجلب الأخذ بأحدهما فقط.

■ **الثاني:** ما يمنع الجمع دون الخلو كقولنا: هذا حيوان وإنسان، فإنه يُمنع لجمع بينهما فإما أن يكون إنسان أو حيوان.

■ **الثالث:** ما يمنع الخلو ولا المنع: كما إذا أخذت بدل أحد الجزئين لازمة لأنفسه <<<sup>1</sup>، مثل أن تقول: إما أن يكون في البحر وأما لا يغرق، فإن هذا يمنع الخلو ولا يمنع الجمع، إذ يمكن أن يكون زيد في البحر ولا يغرق، ولا يجوز أن يخلو من أحد القسمين.

**2\_ القسمة الثانية:** باعتبار نسبة محمولها إلى موضوعها بنفي أو إثبات. (القضية)، كل من هذه القضايا فيها الموجبة والسالبة، حيث أنه إيجاب حملي - وهناك سلب يسلب اللزوم والاتصال.

فإن قلنا زيد غير بصير سالبة أو موجبة. فإن كانت موجبة فما الفرق بينه وبين قولنا زيد ليس بصير، وإن كانت سالبة فما الفرق بينه وبين قولنا زيد أعمى. وهي موجبة ولا معنى لقولنا غير بصير إلا معنى هذا الإيجاب، إذ المفهوم منه أنه جاهل، والصيغة صيغة نفي. فمن لا يميز بين السالب والموجب كثر غلظه في البراهين. >> فإثباتاً نسبيين أن القياس لا ينتظم من مقدمتين سالبتين بل لابد أن يكون إحداهما موجبة حتى ينتج، ومن القضايا ما صيغتها صيغة السلب ومعناها معنى الإيجاب فلا بد من تحقيقها <<<sup>2</sup>.

**3- القسمة الثالثة:** القضية باعتبار عموم موضوعها أو خصوصه.

<sup>1</sup> الغزالي معيار العلم في المنطق، ص 16.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 17.

موضوع القضايا إما أن تكون إما شخصي فتكون شخصية مثل قولنا عمر وصباح، عمر وليس صباح، وإما كلي فتكون كلية. والكلية إما مهملة لأنه لم يتبين فيها وجود المحمول بعرضه أو كله، وإما محصورة، وهي تبين أن الحكم كلي مثل كل إنسان حيوان وهن القضية أربعة: شخصية، مهملة، محصورة كلية، محصورة جزئية.

>> القضية تنقسم إلى أقسام: سالبة كانت أو موجبة، شرطية كانت أو حملية، متصلة كانت الشرطية أو منفصلة. واللفظ الحاصر يسمى سوارا كقولنا: في الموجبة الكلية، كل إنسان حيوان وقولنا في الجزئية الموجبة بعض الحيوان إنسان، وقولنا في الكلية السالبة لا واحدة من الناس بحجر، وقولنا في السالبة الجزئية ليس كل إنسان كاتب، فإن فحواها واحد <<<sup>1</sup>.

**4- القسمة الرابعة:** القضية باعتبار جهة نسبة المحمول إلى الموضوع بالوجوب أو الجواز أو الامتناع، إن المحمول في القضية لا يخلو إما أن تكون نسبة إلى الموضوع نسبة الضروري الوجود في نفس الأمر، كقولنا: الكون مخلوق فإن المخلوق محمول على الكون، ونسبته إليه نسبة الضروري الوجود. وإن يكون نسبه إلى نسب الضروري العدم مثل قولنا: الإنسان حجر، ونسبتها إلى الإنسان نسبة الضروري العدم. وإما لا يكون ضرورياً لا وجوده ولا عدمه، كقولنا: الإنسان كاتب، الإنسان نسب بكاتب، ونسب هذه النسبة مادة الحمل، فالمادة ثلاثة: الوجوب والإمكان والامتناع. والقضية إما مطلقة أو مقيدة.

**5- القسمة الخامسة:** القضية باعتبار نقيضها.

فهم النقيضين هو في حاجة للنظر، فربما لا يدل البرهان على شيء، ولكن يدل على نقيضه، فيكون قد دالة عليه. وربما يوضع في مقدمات القياس شيء فلا يعرف وجه دلالاته، ما لم يرد إلى نقيضه، فإذا لم يكن النقيض معلوماً لم تحصل هذه الفوائد. وربما تضمن أن معرفة ذلك ضارة وليس كذلك: >> فإن التساهل فيه مثار الغلط في أكثر النظريات، والقضيتان المتناقضتان هما المختلفتان بالإيجاب والسلب، على وجهها يقتضي لذاته أن تكون

<sup>1</sup>الغزالي. معيار العلم في المنطق، ص18

إحدهما صادقة والأخرى كاذبة . فالقضيتان متلازمتان ومتناقضتان وللتناقض ثمانية شروط: فإذا أهملت الشرط فلا يحصل التناقض << 1.

1\_ أن تكون إحدى القضيتين سالبة والأخرى موجبة كقولنا العالم ليس بحادث فإننا قلنا: العالم حادث فلا يتناقضان.

2\_ أن يكون موضوع المقدمتين واحد، فإن كان أكثر من واحد لا يحصل التناقض، كقولنا العالم حادث والبارئ ليس حادث فإنهما لا يتناقضان وإنما يشكل هذا لفظ مشترك.

3- أن يكون المحمول واحد مثل قولنا: الإنسان مخلوق، الإنسان ليس حجر لا يتناقضان، ويشكل في ذلك في المحمول المشترك مثل قولنا: المكروه على القتل مختار والمكروه على القتل ليس بمختار ولكنه مضطر ولا يتناقضان فإنه المختار يطلق على معنيين مختلفين فهم مشترك، فقد يراد به القادر على الترك وقد يراد به الذي يقدم على الشيء بشهوته، وانبعث داعية من ذاته.

4\_ أن لا يكون المحمول في جزئين مختلفين من الموضوع مثل قول: النوبي الأبيض\_ النوبي ليس بأبيض أي هو أبيض الأسنان وليس بأبيض البشرة.

5\_ أن لا يختلف ما إليه الإضافة في المضافات مثل قولنا: الأربعة نصف، الأربعة ليس نصف أي هي نصف الثمانية وليس نصف العشرة. فلا تناقض هنا.

6\_ أن يكون نسبة المحمول على الموضوع على جهتين مختلفتين كقولنا: الماء في النهر مرو ومطهر وليس بمرو ولا مطهر، والمراد به أنه مرو بالقوة وليس مرو بالفعل. والاختلاف جهة الحمل لم يتناقض الحكمان ومن ذلك قوله تعالى { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى }<sup>2</sup>.

ولكن ليس جهة النفي جهة الإثبات فلم يتناقضا وهذا أيضا ممن كثيرا يغلط في الفقهيات.

<sup>1</sup> الغزالي. معيار العلم في المنطق، ص19

<sup>2</sup> القرآن الكريم سورة الأنفال، الآية 17

7\_ أن لا يكون في زمانين مختلفين: كأن نقول له أسنان، والمقصود به الفطام، والصبي لا أسنان له ونعني به في أول حياته.

8- القضية التي موضوعها على الخصوص، فإنه يزيد في التي موضوعها كلي >> أن تختلف القضيتان بالجزئية والكلية مع الاختلاف في السلب والإيجاب حتى يلزم التناقض لا محالة، إلا أمكن أن يصدق جميعا كالجزئيتين <<<sup>1</sup>. مثل قولنا بعض الناس كتاب، بعض الناس ليسو بكتاب وربما كذبتا جميعا كلكليتين في مادة الإمكان، كقولنا: كل إنسان كاتب وليس واحد من الناس كاتب، فالتناقض إنما يتم في المحصورات.

6- القسمة السادسة: للقضية باعتبار عليها: اعلم أننا نعني بالعكس إن يجعل المحمول من القضية موضوعا والموضوع محمولا مع حفظ الكيفية وبقاء الصدق بحاله، >> فإنه لم يبقى الصدق سمي انقلابا لا انعكاسا والقضايا في عنصرها أربعة: الأولى سالبة الكلية وتنعكس <<<sup>2</sup> مثل نفسها بالضرورة فإنك تقول لا إنسان واحد طائر ويلزم أنه لا طائر واحد إنسان ونقول لا طاعة واحدة معصية فيلزم أنه لا معصية واحدة طاعة، ولزوم هذا ظاهر ولكن تحريره إنه إن لم يلزم أنه لا طائر واحد إنسان، فإنما لا يلزم لأنه يمكن أن يكون بعض الطائر إنسان، فإن أمكن ذلك بطل قولنا لا إنسان واحد طائر لأن ذلك الطائر يكون إنسان، فيكون ذلك الإنسان طائرا فيرتفع الصدق من قولنا لا إنسان واحد طائر وقد وضعتها صادقة.

والثانية الموجبة الكلية وتنعكس موجبة جزئية، فقولنا كل إنسان حيوان ينعكس إلا أن بعض الحيوان إنسان ولا ينعكس كليا لأن المحمول وهو الحيوان يمكن أن يكون أعم في الموضوع فيفضل طرف منه عن الموضوع الذي هو الإنسان في مثالنا، فلا يمكن أن يقول كل حيوان إنسان إذ من الحيوانات غير الإنسان كالفرس ونحوه من سائر الأنواع الأخرى.

<sup>1</sup>الغزالي . معيار العلم في المنطق ، ص20

<sup>2</sup>المصدر نفسه ص20.

والثالثة السالبة الجزئية، وهي لا تنعكس أصلا فإن نقول حيوان ما ليس بإنسان فهو صادق وعكسه إنسان ما ليس بحيوان غي صادق، ولا قولنا كل إنسان ليس بحيوان يصح أن يكون عكسا لهذه، فلا تنعكس إلى كلية ولا إلى جزئية.

والرابعة الموجبة الجزئية وتنعكس مثل نفسها أعني موجبة جزئية، فقولنا بعض الناس كاتب يلزم منه أن بعض الكاتب إنسان فإن قيل: إنه يلزم منه إن كل كاتب إنسان فاعلم أن ذلك ليس من الإيجاب الجزئي من حيث أنه إيجاب جزئي، بل من حيث عرفت من الخارج أنه لا كاتب سوى الإنسان، وإلا فمن الموجبة الجزئية ما لا يمد انعكاسه كليا إذ نقول بعض الإنسان أبيض ولا يمكنك أن تقول كل أبيض إنسان، بل اللازم بعض الأبيض إنسان ولأجل كون الأمثلة مغلطة بالباء والموضوع بألف.

خاتمة:

لقد صبّ بحثنا المتواضع هذا في فكر الغزالي، من فلسفة التي دخلها من الباب الواسع، رغم انتقاده لمعظم آراء الفلاسفة من خلال كتابه "تَهافت الفلاسفة" ومن أخلاق عندما كان الغزالي يعيد النظر في أخلاق المسلمين في زمنه، ويناقشها، ويصلحها على أساس الشرح من خلال الكتاب والسنة، وكان قد ما ألفه من نصوص في هذا المجال نص "المنفذ من الضلال"، "إحياء علوم الدين"، "مشكاة الأنوار"، "الرسالة اللدنية"، فاتخذ هذه النصوص كقواعد منهجية تستقيم بها القيم الأخلاقية، بالإضافة إلى أنه حاض في المنطق حوض العارفين، باعتبار أن المنطق هو الآلة التي بها يقع الفصل والتمييز بين ما يقال: >> هو حق أو باطل، فيما يُعتقد وما يقال هو خير أو شر. فيما يفعل. وبينما يُقال: هو صدق أو كذب فيما يُطلق باللسان وبينما يُقال: هو حسن أو قبيح بالفعل <<. وأن المنطق هو آلة مخفية في نفوس البشر، مرتبطة بالذات تعمل على تثبيت الحق ومنع افكر من الوقوع في الزلل، كتاب "محك النظر".

— لقد أثار حركة "الغزالي" الفكرية عدّة أسباب جعلت منه شخصية إسلامية عظيمة. تدافع عن الدين وتقدم كمية علمية وفكرية هائلة من فلسفة وفقه ومنطق وأخلاق... إلخ، للقارئ المسلم وحتّى غيره.

فمن بين الأسباب تلك الصراعات الفكرية بين المعتزلة والأشاعرة، حيث كانت المعتزلة تحمل مناهج أقيست عقلية ذات مستوى راق من الفهم، يتحمّلون بها مسؤولية الدفاع عن الشّرع، ويواجهون بفكرهم هذا كل من المسيحيين والدّهريّين الغنوصيين، وفي هذا المكان الذي يعني الدولة السلجوقية التي كانت تحوي أنذاك على عجم ومسلمين، حيث أدّى "الغزالي" دور الإمام الذي يحكم بالقرآن حيث كان جهده يتمثّل في مناقشة مسائل الفقه والاصول، والسيرة النبوية، وقصص الصحابة وهدفه من هذا زاحد وهو توحيد الله عزّ وجلّ، وعدم التفرقة بين المسلمين في عبادة المولى عزّ وجلّ

وكانت الأشاعرة تدعو إلى نفس هذا الطرح رغم ما كان من الصراعات مع المعتزلة.

كانت تحولات "الغزالي" سريعة من هذا إلى المنطق اليوناني، الأرسطو طاليسي بالضبط، حيث أدرك معاني القضايا والحدود، عليه الأشياء في العالم، الحتمية وكان عقلائيّاً معتزلياً في هذا الشأن. وعرف كذلك قضايا أخرى تتمثّل في مسألة خلق القرآن. قدّم العالم، أزلية الكون، وحدة الوجود، المنزلة بين المنزلتين... إلخ وردت في كتابه "محك النظر" وهنا حدث التحوّل الأكبر في فكره إلى درجة أن "سمّاه الفتح الأكبر".

— لم يكن إهتمامه بالمنطق فحسب بل تناول كذلك موضوع الأخلاق وأهميته، تجسيدا لواقع الاخلاق المحمدية على المسلمين وبناء صحيحا التعريف على مقتضيات الدين الإسلامي.

— لقد تتلمذ الغزالي على يد أستاذه "أبي إسحاق الجويني" كان على دراية من مراتب النفس ودرجات الروح الأعلى مما مكن "الغزالي" من التعلم منه. فتعلم فنون الدراية والإخلاص والإيمان وتقنية فتح النصوص. ونتج عن هذا تقوية نفسه في مدارس مقاصد الشريعة، وتوحيد الله عزوجل في اثبات الربوبية والعظمة الإلهية، وفي الأشكال الفظيلة والخير الأسمى، ذلك لكي يوصل لنا من خلال نصوصه كيف نعبر كمسلمين على حالتنا النفسية وعلى مستوى الحوارين العبد وربيه في إطار الوجوب والإمكان.

— من معاني الأخلاق في الفكر "الغزالي" "الإحسان" الذي هو سلوك انساني في الشرع حيث وجب على الإمام في رأيه أن يتلقى مسائل المسلمين وقضاياهم خلقا من أجل تدعيم معاني الإختلاف لاخلاف، وفي هذا المجال نجد "الغزالي" نصيا أشعريا، وفي رسائله اللدنية يشير إلى أن الاخلاق ليست وحدة فردية وإنما هي وحدة الجماعة، ذلك أن الأمة الإسلامية موحدة لا تتفرق. هذه الأخلاق التي يحددها في ثلاث مستويات: العدل، الاحسان، الإخلاص ومن خلالها تنتج التربية الشاملة.

— الأخلاق عنده مقولة نفسية وعاطفية أكثر منها ممارسة في المكان والزمان لأن المسلم الحقيقي في رأيه هو الذي يمكنه أن يكون خاصة الخاصة أي ان يدفع بالنفس إلى الروح.

— في الأخلاق كذلك عنده الخير الأسمى والسعادة التي تنتمي إلى درجات الروح التي تؤدي إلى التربية والإنسداد في الرأي.

— إن الأخلاق الغزالية خاصة وفكره من منطق وفلسفه على وجه العموم، في حاجة ماسة إلى إعادة قراءة بالمعنى الحقيقي والدقيق ومحاوله تطبيقها على واقعنا الحالي، لأن مقتضيات العصر غيرت من معاني السلوك الأخلاقي، والرئ الأخلاقية، حيث أصبح إنسان هذا العصر يخالف تماما المنطق الغزالي الأرسطي في فهم معاني الممارسة الأخلاقية ودلالة الفضيلة، والخير الأسمى والسعادة، حيث أصبحت القضايا العلمية وقضايا البيئة، والقضايا الميتافيزيولوجية والتي يعبر عنها بسؤال الاستنساخ البشري، وقضية زرع الأعضاء وموت الرحم وسؤال الأطفال الأنابيب، وسؤال التناسخ... كلها أسئلة أخلاقية عقدت في تواجد شرع إسلامي نعود إليه، ومعاملات الإنسانية

تحت عنها السنة النبوية، وعلى هذا وجب باللزوم العودة إلى فكر "الغزالي" باعتباره إمام وداعية ومفكر إسلامي، حتى تستطيع حل المشاكل الحالية في العالم الإسلامي .

قائمة المصادر والمراجع:

\_القرآن الكريم.

\_ الحديث الشري. النبوي

01\_ ابن النجار. شرح الكوكب المنير، مج1، تحق: محمد الرّحيلي؛ نزيه حمادن مكتبة العبيكان، الرياض، [د.ط]، 1993.

02\_ أبو حامد الغزالي. (قدّم وعلّق عليه وشرحه علي بوملحم)، ط1، 1994.

03\_ أبو حامد الغزالي. إحياء علوم الدّين، ج3، عالم الكتب، دمشق، [د.ط]، [د.ت].

04\_ أبو حامد الغزالي. المستصفى من علم الأصول، جز1، تحق: حمزة بن زهير حافظ، شركة المدينة المنورة، جدة (المملكة العربية السعودية)، [د.ط]، [د.ت].

05\_ أبو حامد الغزالي. تهافت الفلاسفة، (قدم له وضبط نصّه أحمد شمس الدّين)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط4، 2010.

06\_ أبي حامد الغزالي. حجة الإسلام، المنقذ من الضّلال والموصل إلى ذي العزّة والجلال، حقّقه وقدّمه له: د.جميل صيلي، د. كامل عياد، دار الاندلس للطباعة والنّشر، مكتبة الجندي، 1338هـ.

07\_ أبي حامد الغزالي. محك النظر، تحق: رفيق العجم، دار الفكر اللبناني، بيروت (لبنان)، ط1، 1994.

08\_ البارون كدادوفو. الغزالي نقله غلى العربيّة عادل زعيتر، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، ط2

09\_ البخاري حمّانة. الادراك الحسّي عند الغزالي (دراسة تقنيّة مقارنة)، ط2، 2013.

- 10\_ الزعيبي أنور. مسألة المعرفة والبحث عند الغزالي، دار الفكر.
- 11\_ جبرار جيهامي. موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب (سلسلة موسوعات المصطلحات العربية الإسلامية)، مكتبة لبنان، ناشرون، لبنان، ط 1، 1998.
- 12\_ زكي مبارك. الأخلاق عند الغزالي، كلمات عربيّة للترجمة والنشر، جمهورية مصر العربيّة.
- 13\_ سعدون محمود الساموك. الفلسفة الإسلاميّة، دراسات نقدية منتخبة، كليّة الشريعة الجامعة الأردنيّة، الأكاديميون للنشر والتوزيع، [د.ط].
- 14\_ صلاح الدّين عبد اللطيف الناهي. الخوالات من آراء حجة الإسلام للغزالي، دار الجيل، بيروت، [د.ط]، [د.ت].
- 15\_ عبد الأمير الأعسم. الفيلسوف الغزالي، إعادة تقييم لتطور منحناه الروحي، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط 1، 1974.
- 16\_ عبد الستار عز الدين الراوي. فلسفة العقل: رؤية نقدية للنظرية الاعتزاليّة، دار الشؤون الثقافيّة العامة، وزارة الثقافة والإعلام، 1986م.
- 17\_ علاء الدّين الطّوسي. تحافت الفلاسفة، (تحقيق وتحليل د.رضا سعادة)، ط 1، 1990.
- 18\_ علي بوملحم. الاقتصاد في الاعتقاد لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي (ت505هـ - 1111م)، دار ومكتبة الهلال، ط 1، 1993م.
- 19\_ فضل الله مهدي. العقل الشريعة، دار الطبعة، بيروت (لبنان)، ط 2، 2002.

- 20\_ محمد حسن مهدي بخيت. ظاهرة الشك بين الغزالي وديكارت، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، جامعة الأزهر.
- 21\_ محمد عبد الستار نصار وآخرون. الفكر الفلسفي والاخلاقي، موقع الإسلام أون لاين.
- 22\_ محمد عبد العزيز المعاينة. الفلسفة الإسلامية، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2008.
- 23\_ محمد علي الفاروقي. التهاوي: موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، جزء1، تحق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1996.
- 24\_ محمود محمد علي محمد. العلاقة بين المنطق وعلم أصول الفقه، قراءة في الفقه الأشعري، دار الوفاء لدار الطباعة والنشر، ط1.
- 25\_ مصطفى غالب. الغزالي في سبيل الموسوعة الفلسفية، منشورات دار مكتبة الهلال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1990.

فهرس الموضوعات:

إهداء

شكر

مقدمة.....أ.

الفصل الأول: بعض المسائل التي تناولها الغزالي

المبحث الأول: ضبط المفاهيم: المنطق، الاخلاق.....04

المبحث الثاني: نبذة تاريخية عم أبي حامد الغزالي.....11

المبحث الثالث: فلسفة الغزالي ( العقل والدين، فكرة السببية، الشك).....15

الفصل الثاني: المسائل الأخلاقية عند أبي حامد الغزالي.

المبحث الأول: النفس، المعرفة الصوفية، اليقين، الغضب والشهوة.....32

المبحث الثاني: المعرفة عند الغزالي، تربية الخلق.....48

الفصل الثالث: الغزالي والمنطق.

المبحث الأول: موقف الغزالي من المنطق الأرسطي.....53

المبحث الثاني: أسباب تبني الغزالي للمنطق.....57

المبحث الثالث: المنطق عند الغزالي (حد الحد وآلياته المنطقية، القضة، القياس).....60

خاتمة.....70

قائمة المصادر والمراجع.....74

فهرس الموضوعات.....78